سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف

AL-HADAF

جامعة بيرزيت
المكتبة
12 -09- 2011

نفتقدك أكثر

الهدف فلسطين العدد 1441 15 آب/ أغسطس 2011
AL-HADAF Palestine. No. 1441 - 15 August 2011

Digitized by Birzeit University Library

الهدف AL-HADAF

سياسية عربية
كل الحقيقة للجماهير

الهدف - فلسطين العدد 1441 15 تموز/ يوليو 2011
AL-HADAF Palestine. No. (1441) - 15 August 2011

أسسها الأديب الشهيد
غسان كنفاني عام 1969

رئيس التحرير
عمر شحـــــادة

هيئة التحرير
جواد عقـــل
يوسف الصـــليبي
أحمد جـــابر
د. محمد أبو ناموس

ثمن النسخة
1 يورو أو ما يعادلـــه

قيمة الاشتراك السنوي
10 يورو أو ما يعادلها

عناوين المجلة
في فلسطين
رام الله - دوّار الساعة
عمارة الميدان - ط 3 هاتف 02 2966808
البريد الإلكتروني alhadaf194@gmail.com
الصفحة الإلكترونية، www.pflp.ps
غزة - الرمال - برج السراج
المكتب الإعلامي للجبهة الشعبية
تليفاكس 2828291 - 2837810
بريد الكتروني: info@pflp.ps
في سوريا
دمشق، ص . ب 30192 - هاتف، 6328267
فاكس، 6319374
alhadafmagazine@yahoo.com

كلـــمة

42-09-2011

لقاءات فتح وحماس تراوح مكانها

اعتبرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأن لقاءات حركتي فتح وحماس في القاهرة ما زالت تراوح مكانها وعلى حساب الشعب الفلسطيني، في ضوء النتائج المكررة التي افضت اليها هذه اللقاءات وسبق الاعلان عنها في اللقاءات الماضية .

وانتقدت الجبهة الشعبية اخضاع الحقوق الاساسية للمواطن الفلسطيني لمساومات بين الفصيلين وحكومتي الامر الواقع في رام الله وغزة دون وجه شرعي، كحقوق الاقامة والتنقل وجواز السفر فضلا عن الحجز والاعتقال السياسي وغيرها من الانتهاكات للحقوق المدنية والحريات العامة .

ورأت الجبهة في هذه النتائج والأولويات الذاتية الفئوية التي طرحت على جدول الاعمال والتي وصفها الطرفان بالايجابية تهربا من مواجهة المهام المباشرة المطروحة على الشعب الفلسطيني في مقاومة الاحتلال، واعادة ملف القضية الوطنية برمتها للامم المتحدة لتنفيذ قراراتها ذات الصلة، كجزء من استراتيجية وطنية كفاحية جديدة وبديلة لعشرين عاما من مفاوضات عقيمة وظفها الاحتلال لخدمة اهدافه في توسيع الاستيطان والعدوان والجرائم والسعي لتصفية القضية الوطنية .

في هذا العدد

شؤون فلسطينية

في الذكرى العاشرة لاستشهاد الرفيق أبو علي مصطفى

وهم التنمية

دور الشتات في العملية الوطنية

شؤون عربية

مستقبل السودان بعد الانفصال

المحاصصة الطائفية في العراق

شؤون العدوّ

نتنياهو وعقدة القلق من النووي الإيراني

المكوّن العسكري في السياسة الإسرائيلية

شؤون دولية

شبح جديد يجول في سماء أوروبا

الهدف الثقافي

Digitized by Birzeit University Library

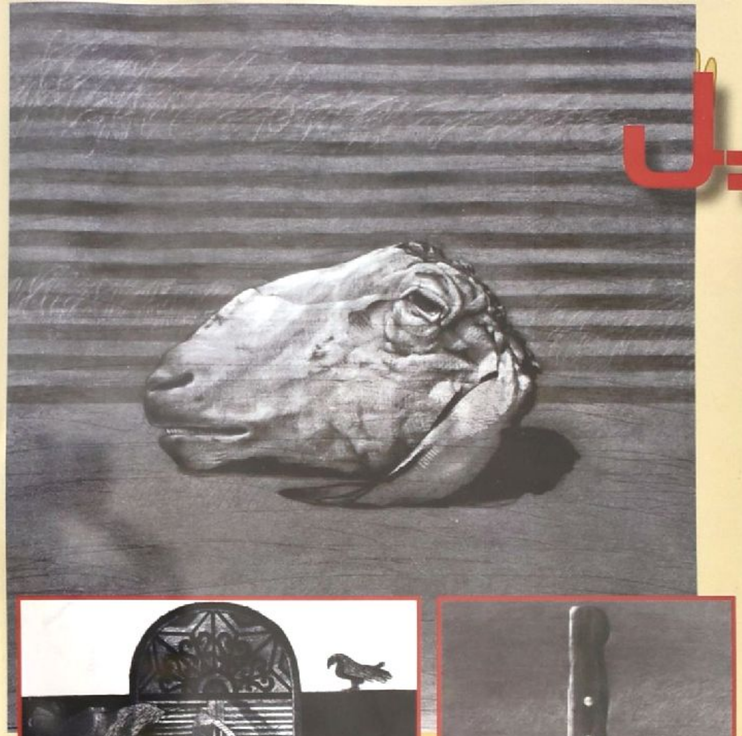

تشكيل

كان يوسف عبدلكي على حق!

أعرف يوسف عبدلكي منذ أربعين عاماً ونيف، وقد أتاحت لي صداقتنا أن أطلّ ليس على تجربته الفنية وقلقها وهواجسها فحسب، بل على سيرورة التحولات الذهنية والروحية والفنية لهذا الفنان الذي ينتمي كما يُقال إلى «الذهب العتيق»، فهو لم يفصل في يوم من الأيام، بين عمق اهتمامه بقضايا الشأن العام، وبين هاجسه الدائم بتجويد فنه، وتطوير أدواته، وعدم الركون إلى ما وصل إليه من إنجازات، على الرغم من تصنيفه بين كبار الحفّارين في العالم، وواحد بين أهمهم على المستوى العربي.

لم ينقطع عبدلكي أثناء وجوده في مدينة الأنوار (باريس) لمدة ربع قرن من الانشغال بقضايا المنطقة، والتواصل مع أدق تفاصيلها والتعبير عن جوهرها في لوحاته الفنية، بروح إسبارطية شديدة العناد، إيماناً منه بالقيم التي عاش وناضل وسُجن من أجلها، وفي الوقت الذي اهتزّ إيمان الكثيرين بتلك القيم، فغادروها إما يأساً أو هروباً، ظل عبدلكي قابضاً على جمرها بروح فروسية لا تلين. الخطوط الصارمة، والأبيض والأسود بتدرجات ظلاله اللونية الرهيفة، هي الملعب الفسيح الذي صبّ فيه عبدلكي مهاراته الفائقة، وما أن بهرت الأنظار شخوص لوحاته، وخيوله، وأنصاف دماه، ومشاهد الشرق بزخارفه وحكاياته، وما أن جسدّ أولئك الوحوش الطغاة، المتربصين بالبشر وأحلامهم النبيلة، وكشف عريهم في لوحاته، حتى هجر تلك المرحلة الفنية التي أورثته خبرات بصرية رفيعة المقام، وترك أيضاً (كمنهج لبناء اللوحة ذلك الحقل الداكن الكبير).

كانت الكليّات في مراحله الأولى هي الحاضرة في لوحته، عبر شخوص أبطاله وخيوله، والدلالات الرمزية المحتشدة في أيقوناته، وذلك على حساب التفاصيل التي تضيع في ثنايا اللوحة، لكنه أقلت ببراعة من تلك المرحلة، وتبنى فيما بعد الاختصار والحذف، واعتبر النقاد تلك النقلة، هي النقلة النوعية الأكبر والأرقى في تجربته التشكيلية.

نراه هنا، ينحاز إلى الأشياء المفردة (رأس سمكة مقطوع، حذاء، ورود ذابلة، جمجمة....) أشياء تنبثق في الفراغ العاري.. وتتأنسن على يدي هذا الحفار الساحر، الذي كرّس خبراته النادرة، وبراعته، وانحيازاته الإنسانية للقضايا النبيلة.. وها هو الربيع العربي يثبت أنه كان على حق!

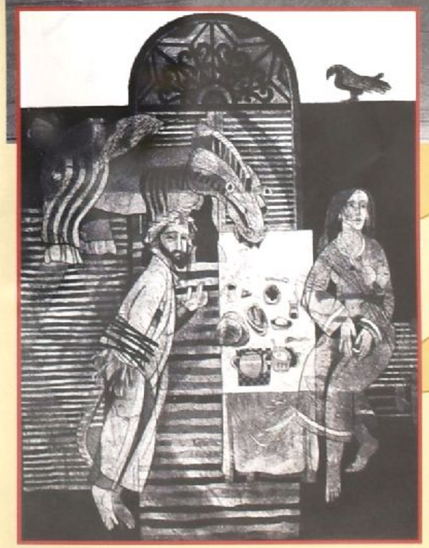

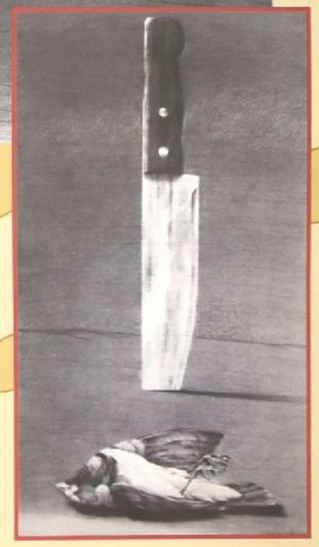

لا أرى..لا أسمع..لا أتكلم

لايتورع المفاوض الفلسطيني ومشايعوه عن ترديد مسلماته القائمة على ان « الحياة مفاوضات»، ما دام أنه من غير الممكن الآن ان نحقق هدف الدولة الفلسطينية عبر ميزان القوى القائم ، فليس امامنا سوى متابعة الجهود لبعث «عملية السلام» عبر المزيد من التفاوض، واذا ما توقفت المفاوضات عندها سنذهب للامم المتحدة ومؤسساتها لانجاح التفاوض مع الاحتلال والادارة الامريكية، وهو مايفسر على سبيل المثال لا الحصر، إحجام القيادة الفلسطينية عن المواجهة مع الاحتلال والإدارة الأمريكية، والمتابعة الجادة لتقرير جولدستون حول غزة، ولفتوى محكمة لاهاي حول الجدار، فضلا عن القصور في ملاحقة الانتهاكات والجرائم المنهجية المنظمة واليومية للاحتلال في شتى المحافل الدولية والاقليمية والمؤسسات ذات الصلة ، وعن وضع تنفيذ اتفاق المصالحة في ذيل الاجندة الوطنية.

واذ يتساءل المرء ما حاجة الفلسطينيين لمفاوضات لاتقوم على اساس الحد الادنى لحقوقهم التي تكفلها الشرعية الدولية ؟! فلعل نتائج عشرين عاما من المفاوضات الثنائية بالرعاية الامريكية، هي انعكاس وثمرة لفكر سياسي عقيم وارادة واهنة لاترى او تقيم وزنا لنضال أبناء الشعب المسلحين ببرنامجهم الوطني والديومقراطي الجامع او للعوامل الداخلية بترابطها العضوي العربي والانساني ولا لإرادة الشعوب المنظمة صانعة التغيير والتاريخ ، سوى في استخدامهم الموسمي على شاكلة ما بات يسمى اليوم باستحقاق أيلول، خدمة لنهج «الحياه مفاوضات» بدلا من ان تكون المفاوضات مكانا وزمانا وتوقيتا اداة ووسيلة بيد نهج المقاومة الشعبية والكفاح المتنوع لشعبنا وليس العكس. دون احساس بالزمن ومكاسب الاحتلال المتراكمة عاما بعد عام ، ينسى او يتناسى المفاوض الفلسطيني الى حد أخذه بحكمة : «لا أرى ، لا أسمع ، لا أتكلم» وهو يتجاهل عن سبق إصرار بأن المفاوضات منذ عشرين عاما وما قبلها ترسّخت سياسة يلجأ اليها المحتل ورعاته في واشنطن لكسب الوقت والشرعية وانفاذ سياسة تقادم الامر الواقع التي ما زالت تاخذ من رصيدنا الوطني والقومي والعالمي والانساني لصالح الاحتلال، فتتقلص الارض وتتقطّع اوصالها ويجري الفتك بوحدة الشعب والارض و القضية .

فهل يتعلم المفاوض الفلسطيني الدرس ، ويكفّ عن ادمانه الرهان على وعود السيد الامريكي، فنمضي معاً لنيل العضوية الكاملة عبر مجلس الامن ، ام سيتم جرّه من جديد لدوامة المفاوضات العبثية بتحريف القرار الوطني والذهاب إلى الجمعية العامة، والدخول من جديد في دوامة التسويف والانتظار فنقدّم بذلك خدمة جديدة للسياسةالأمريكية المخادعة، ونمدّ حبل الإنقاذ لحكومة نتانياهو المأزومة.

شؤون فلسطينية

الشعبية تؤكد على قرار المجلس المركزي الفلسطيني بالتوجه إلى مجلس الأمن الدولي لنيل الاعتراف بدولة فلسطين.

أكدت «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» على قرار المجلس المركزي الفلسطيني بالتوجه إلى مجلس الأمن الدولي لنيل الاعتراف بدولة فلسطين عضوا كامل العضوية في هيئة الأمم المتحدة أسوة بشعوب العالم .

وفي بيان صدر اليوم الجمعة ، دعت الجبهة لجنة المتابعة العربية المزمع عقدها في العاصمة القطرية الدوحة إلى تبني و دعم هذا القرار على مختلف المستويات الرسمية و الشعبية و على كافة الصعد العربية و الإقليمية و الدولية ، باعتباره يمثل المهمة المباشرة لشعبنا و قيادته ومدخلا لإعادة ملف القضية الوطنية إلى الشرعية الدولية « إطارا و مرجعية و قرارات « بعد فشل مسيرة المفاوضات الثنائية بالرعاية الأمريكية ووصول اللجنة الرباعية الدولية إلى الافلاس التام في إلزام دولة الاحتلال باحترام و بتنفيذ استحقاقات القانون الدولي الإنساني و اتفاقيات جنيف الرابعة و في المقدمة إنهاء الاحتلال و الاستيطان و تحرير الأسرى و نيل الشعب الفلسطيني لحقوقه غير القابلة للتصرف في الحرية و الاستقلال و العودة .

واضافت ،» وهو الأمر الذي يتطلب التمسك بحق شعبنا في المقاومة للاحتلال بكافة أشكالها و بالدعوة لعقد مؤتمر دولي ذو صلاحيات بحضور الأطراف المعنية تحت إشراف الأمم المتحدة لتنفيذ قرارات الشرعية الدولية ذات الصلة ، والكف النهائي عن ملاحقة الأوهام المزمنة في تحسين شروط التفاوض بالمرجعية الأمريكية المنفردة وعن التمسح بأعتاب مسئولي دولة الاحتلال و الاتصالات الخلفية واللقاءات الثنائية معهم خارج نطاق القرار الوطني و قرارات المجلس المركزي .

وجددت الجبهة موقفها باعتبار قرار مجلس الأمن 242 لا يلبي و لا يستجيب لحقوق شعبنا بل ينتهك و يمتهن هذه الحقوق و يتعامل مع القضية الوطنية كقضية إنسانية للاجئين ، و بأن قرارات الشرعية الدولية المعنية و قرار فتوى محكمة لاهاي تعتبر كامل أراضي الضفة والقطاع نتيجة حرب وعدوان عام 1967 هي أراض فلسطينية محتلة بما فيها مدينة القدس .

واعتبرت الجبهة بان إنجاح خطوة التوجه للأمم المتحدة عبر مجلس الأمن و الجمعية العامة يتطلب من الرئاسة الفلسطينية دعوة لجنة الحوار العليا لوضع اتفاق المصالحة و استعادة الوحدة الوطنية موضع التنفيذ الفوري الشامل ، باعتبار هذه الخطوة جزءا من إستراتيجية سياسية و كفاحية و اجتماعية جديدة و موحدة ، و انتخابات وطنية شاملة و في المقدمة لمجلس وطني جديد داخل الوطن و خارجه يمثل الشعب الفلسطيني في كل مكان و يعيد مكانة منظمة التحرير ويجدد شرعيتها قائدا و مرجعية عليا لشعبنا ، و يرسخ مقاومته الشعبية وفق ما تحدده قيادتها الموحدة وظروف واحتياجات النضال الوطني من اجل انجاز حق العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة وعاصمتها القدس.

Digitized by Birzeit University Library

الشعبية : فخر لمصر ان تضع اول رئيس عربي تحت القانون وارادة الشعب

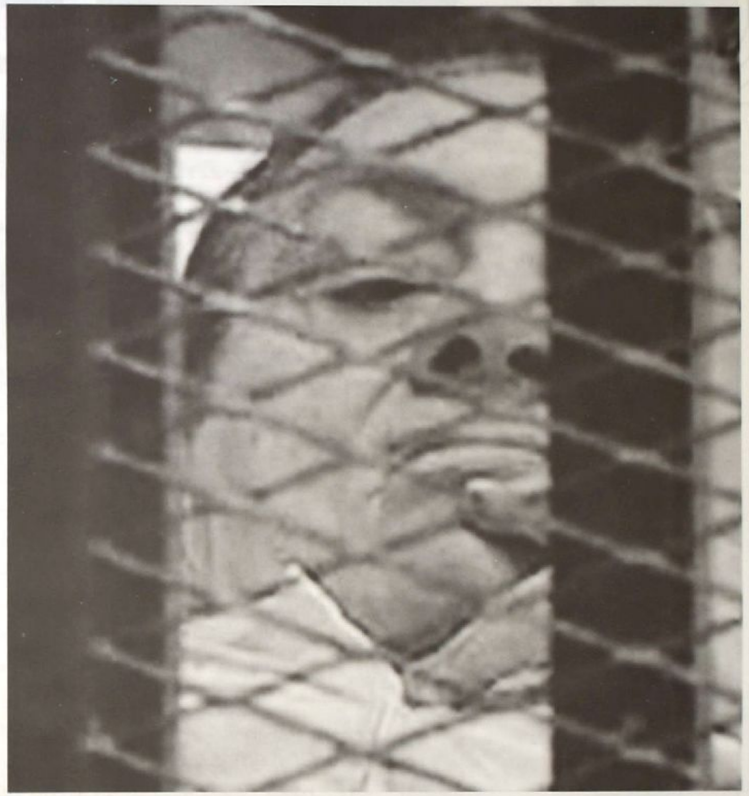

اعتبرت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين بأنه فخر لمصرالريادة والكرامة والحرية والسيادة ان تضع اول رئيس عربي تحت القانون وارادة الشعب المصري العظيم والامة العربية من المحيط الى الخليج .

ورأت الجبهة في اخضاع الرئيس السابق محمد حسني مبارك واركان حكمه للقانون ولارادة الشعب بمثابة نصر وعبور جديد لشعب مصر وجيشها وسابقة عربية تشق درب الدولة الوطنية المدنية درب الحرية والوحدة والكرامة والعدالة وسيادة القانون وانتصارا لارادة الشعب المصري والشعوب العربية ما كان له ان يتحقق دون تضحيات ابناء مصر وشبابها وشهدائها الذين قدموا ارواحهم كي تنتصر ثورة 25 يناير ويحيا شعب مصر والامة العربية بكرامة وعدل وشرف وضمير .

واكدت الجبهة الشعبية بأن اجتراح مصر لهذه المأثرة الوطنية والديمقراطية والانسانية التاريخية ، توجب على كل عربي حر وشريف التوجه بآيات الشكر والدعم والتلاحم والتساند والتقدير لشعب مصر العظيم وجيشه الجبار وثورته المجيدة ، على وضع الامة العربية برمتها على اعتاب مرحلة نوعية جديدة تغدو فيها ارادة الشعب والامة ودولة وسيادة القانون فوق الجميع ، ويتم فيها احلال دستور وحكم الشعب مرة والى الابد بديلا لحكم الفرد ودستوره وحزبه وطغمته الفاسدة المستبدة.

الشعبية : خطاب اوباما ليس بديلا للشرعية الدولية

اكدت الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في معرض ردها على ما يشاع من مزاعم عن موافقة «نتنياهو» رئيس حكومة الاحتلال على «الصيغة الامريكية «وخطاب الرئيس الامريكي اوباما مع بعض التحفظات لاستئناف في ما يسمى بالمفاوضات ، بأن هذا الخطاب وتفسيراته في مؤتمر « الايباك» ليس بديلا للشرعية الدولية وقراراتها ، ولا يشكل مرجعية سياسية او قانونية ولم تعتمد كذلك ماسميت بالصيغة الامريكية حتى في لقاء الرباعية الدولية الاخير في واشنطن.

واعربت الجبهة عن رفضها لهذا الخطاب مجهول المعالم والمتنكر للشرعية الدولية وقراراتها التي تؤكد حقوق شعبنا في العودة وتقرير المصير والدولة المستقلة بعاصمتها القدس .

وحذرت الجبهة من الالاعيب والمزاعم التي تشيعها سلطات الاحتلال واجهزة اعلامه، عن موافقة نتنياهو على «الصيغة الامريكية» ،بأن هدفها التضليل والخداع، والتشويش على حملة الاعتراف الدولي المتنامي بالدولة الفلسطينية وعاصمتها القدس على كامل الاراضي المحتلة عام 1967 ، وفي الوقت نفسه ادخال القيادة الفلسطينية وجامعة الدول العربية في حالة من الارباك والحيرة والتردد لجرها من جديد لما يسمى بالمفاوضات العقيمة المستمرة منذ عشرين عاما ، ومنعها من المضي قدما في التوجه لمجلس الامن ، لنيل الاعتراف بالدولة الفلسطينية ومن استعادة الوحدة الوطنية ومن تحشيد الرأي العام الوطني والعربي والدولي حول حق شعبنا في المقاومة وتحرير الاسرى وكسر الحصار ودحر الاحتلال والاستيطان ونيل الحرية والاستقلال والعودة .

مذكرة صادرة عن فصائل منظمة التحرير الفلسطينية وتحالف القوى الفلسطينية في لبنان

جانب دولة الرئيس
الاستاذ محمد نجيب ميقاتي
رئيس مجلس الوزراء اللبناني المحترم.
اصحاب المعالي الوزراء المحترمون .

تحية تقدير واحترام .

تأكيدا على دعم القضية الفلسطينية بكل مكوناتها باعتبارها القضية المركزية للامة العربية والاسلامية وخصوصا دعم حق عودة اللاجئين الفلسطينين الى ديارهم وممتلكاتهم التي اخرجوا منها عام 1948 على ايدي العصابات الصهيونية ، ودعما لصمود اهلنا في لبنان وفي سياق تعزيز العلاقات الاخوية بين الشعبين اللبناني والفلسطيني ، فاننا نتقدم بهذه المذكرة نأمل البناء على بداية الحراك الايجابي مع التعاطي الرسمي مع هموم الفلسطينين في لبنان والذي اثمر قانونا جديدا للعمل في شهر اب 2010 اعتبرناه في حينه خطوة ايجابية في الاتجاه الصحيح لكنها غير كافية وعليه فاننا نسجل التالي :

1 ـــ حق العمل وحق التملك :

لقد ابقى القانون الجديد على الحالة التمييزية تجاه العامل الفلسطيني من خلال اجازة العمل .. فهي عدا عن شروطها القانونية المعقدة جدا فانها لم تقدم اية مكتسبات جديدة للعمال ناهيك عن ان القانون الجديد يشجع ارباب العمل على التهرب من التصريح عن العمال الفلسطينيين بما يمكنهم من التنصل اية من مسؤوليات مادية تجاههم . لذلك فاننا نتطلع الى دعم شعبنا الفلسطيني في لبنان وتخفيف معاناتهم عبر اقرار الحقوق الانسانية والاجتماعية وخصوصا حق العمل في المجالات كافة باستثناء القطاع العام واستفادة الفلسطينين من جميع المكتسبات التي يحصل عليها العامل اللبناني ، اي تقديمات صندوق الضمان الاجتماعي في المجالين الصحي والاجتماعي ، لان العامل الفلسطيني ملزم بتسديد اشتراكاته السنوية لادارة الصندوق ، كما نهيب بالحكومة اللبنانية الجديدة ان تولي حق التملك وحق التوريث حسب المحاكم الشرعية اللبنانية اهتماما خاصا واستثنائيا .

2 ـــ الغاء مبدأ المعاملة بالمثل :

ان الافراج عن الحقوق الانسانية والاجتماعية والمدنية يكمن في استثناء الفلسطينين من مبدا المعاملة بالمثل لانتفاء موجباته الموضوعية بسبب عدم وجود دولة فلسطينية مستقلة ذات سيادة ، وعليه ومن منطلق الاخوة القومية ، ندعو الى اعفاء الفلسطينيين من تطبيق مبدا المعاملة بالمثل عليهم وذلك بالنسبة لسائر القوانين ذات الصلة بهذا المبدا .

3 ـــ حماية الوجود الفلسطيني ومعالجة اوضاع المخيمات :

اننا ندعو الحكومة اللبنانية الجديدة الى دعم القضية الفلسطينية بكل مكوناتها وخصوصا حق العودة ورفض مشاريع التوطين والتهجير والوطن البديل ... ورفع الغبن القائم عن المخيمات التي ترزح تحت وطاة مجموعة من الازمات الاقتصادية والاجتماعية والامنية وهذا يتطلب :

ا ـــ الاعتراف باللجان الشعبية والامنية المرتبطة بها في كافة المخيمات .

ب ـــ رفع مستوى التنسيق بين اللجان الشعبية والبلديات المحيطة بالمخيمات .

ت ـــ ادخال مواد البناء الى المخيمات .

ث ـــ انهاء حالة الحصار العسكري حول كافة المخيمات في لبنان .

ج ـــ الاسراع في محاكمة الموقوفين الفلسطينيين واغلاق ملف مذكرات التوقيف .

ح ـــ البحث عن الحلول المناسبة لمشكلة التزايد السكاني في المخيمات التي باتت تضيق بساكينيها .

خ - تسهيل معاملات الفلسطينين في مديرية شؤون اللاجئين ومعالجة مشكلة فاقدي الاوراق الثبوتية لاغلاق هذا الملف المأساوي نهائيا .

4- الحريات السياسية والنقابية والاعلامية :

نتطلع لايلاء الاهتمام بنضال شعبنا في لبنان في الميادين السياسية والاعلامية والنقابية والجماهيرية والسماح بتأسيس الجمعيات والمؤسسات النقابية والاهلية من اجل تحشيد الطاقات الفلسطينية لخدمة جماهيرنا على طريق انجاز حقوقنا الوطنية ، وفي المقدمة منها حق العودة الى ارضنا وممتلكاتنا التي اخرجنا منها عام 1948 .

5 ـــ مخيم نهر البارد :

ينتظر الشعب الفلسطيني منكم استكمال اعمار مخيم نهر البارد وعودة سكانه اليه في اقرب وقت ممكن من خلال توفير الارضية اللازمة لذلك لانهاء مأساة اربعين الف لاجئ يعانون التهجير والبطالة والفاقة منذ اكثر من اربع سنوات .

ختاما:

فان اللاجئين الفلسطينين في لبنان يتطلعون الى علاقة فلسطينية ـــ لبنانية وطيدة قائمة على الاحترام المتبادل للحقوق والواجبات ، وانطلاقا من هذا فاننا نجدد الدعوة للحكومة اللبنانية للتعاطي العادل والموضوعي مع حقوقهم الانسانية والاجتماعية ويحذوهم الامل بحسم كل الملفات العالقة التي تتعلق بشؤونهم .. فالاستقرار الاجتماعي للفلسطينيين يؤدي حتما الى الاستقرار الامني مع التأكيد ان امن المخيمات الفلسطينية واستقرارها من امن لبنان واستقراره .

مع فائق الاحترام ...

بيروت 2011/7/5
منظمة التحرير الفلسطينية
تحالف القوى الفلسطينية

Digitized by Birzeit University Library

■ ملوح: ابو علي ليس ماضيا وليس حاضرا وليس مستقبلا... ابو علي كل هذا.
■ رافت: ابو علي كان يجيد العمل السري وعندما يعطي التوجيهات تبرز ملامحه القيادية.

رام الله– سوسن حمودة

تصادف هذه الايام الذكرى العاشرة لاستشهاد القائد الوطني الفلسطيني والقومي الاممي الرفيق ابو علي مصطفى الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين والذي اغتيل في عملية جبانة نفذتها القوات الاسرائيلية في مدينة رام الله يوم» 2001/8/27«وبهذه المناسبة تحدث الى مجلة الهدف كل من عبد الرحيم ملوح نائب الامين العام عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وصالح رافت نائب الامين العام لحزب «فدا» عضو اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، اللذين اتفقا على انه كان قائدا ثوريا من طراز نادر ومن الشخصيات الحريصة التي عملت على توحيد اليسار الفلسطيني، وسينشر اللقاء كاملاً في الصحف المحلية.

يقول ملوح، هذه مناسبة خاصة لانها الذكرى العاشرة لاستشهاد ابو علي مصطفى، الحريص على ان يكون في الوطن وبين الناس والجماهير، وهو من قال «افكاري ومواقفي تعدلت بعد رؤيتي للناس من الخليل الى جنين ومنها الى رفح الى بيت لاهيا وغزة وكل المناطق»، اعتقد مطلوب الان كما يقول الموروث الشعبي «من ليس له ماض ليس له حاضر وليس له مستقبل» وابو علي ليس ماضيا وليس حاضرا وليس مستقبلا بل هو كل هذا، وبالتالي فإن احياء ذكرى هؤلاء الابطال باستمرار هو قضية محورية واساسية،

«ابو علي» كان وسيبقى كما كل مثقفينا من غسان كنفاني الى نوح ابراهيم وابي سلمى وابراهيم طوقان وادوارد سعيد وقادة شعبنا من ياسر عرفات الى جورج حبش.

واضاف: معرفتي بالشهيد ابو علي مصطفى ليست قديمة بحكم وجودي خارج الاراضي الفلسطينية، ولكن من قراءة تاريخه واصدقاؤه الذين عايشوا المراحل السابقة تاكدت انه شخصية تاريخية منذ انتسابه الى الجناح الفلسطيني – الاردني في حركة القوميين العرب ثم في تاسيس الجبهة الشعبية وهي المرحلة التي تعرفت عليه بها، ابو علي شخصية

الرفيق عبد الرحيم ملوح

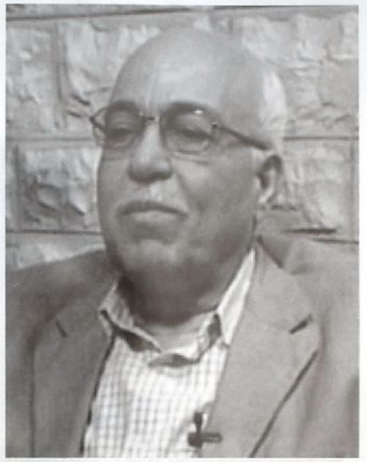
الرفيق صالح رافت

دمثة ذات معشر لطيف يوحي بالثقة دائما. تعرفت عليه في المرحلة الاولى عندما كان متوجها الى الضفة الغربية هو ومجموعة من الشباب، كان مسؤولا عن القطاع الاوسط التابع للجبهة الشعبية وكنت مسؤولا عن احدى القواعد في القطاع الاوسط، في احداث ايلول التقينا في احراش جرش وكان مسؤولا اولا في تلك الفترة، لان الدكتور جورج حبش كان في كوريا الشمالية وقتها استقر فترة من الزمن في احراش وجرش وغادر الى لبنان قبل الاحداث وهناك تعرفت عليه اكثر فاكثر فقد كانت الثورة الفلسطينية تعيد ترتيب اوراقها بعد ان غادرت الاردن، تعرفت عليه وعائلته وبقيت صلتنا دائمة في مختلف محطات النضال الفلسطيني ومحطات الجبهة. وعندما عدنا الى ارض الوطن عاد هو متاخرا وكان ن المفترض ان ياتي بعد انعقاد المجلس الوطني في غزة في «1996/7/19، لكن مع تسلم

الشهيد أبو علي مصطفى في لقاء مع رفاقه في الجبهة

نتنياهو رئاسة الوزراء تم شطب اسمه من قوائم العائدين وعاد للوطن في العام 1999 ، واذكر وقتها ما قاله عند عبوره للنهر في الرد على اسئلة بعض الصحفين «اتينا لنقاوم لا لنساوم على حقوق شعبنا الفلسطيني» .

وقال، ان الفراغ الذي تركه ابو علي مصطفى، كبير جدا فهو الى كل ذلك كان شديد الحرص ان تحظى الطبقة العاملة بموقعها السياسي ودورها في المعادلة السياسية الفلسطينية والعربية، ولهذا كان ابو علي شخصية جدا محورية واساسية كممثل للجبهة الشعبية في الحوارات مع مختلف القوى قليلون يعرفون ان قرار تشكيل المقاومة الوطنية في لبنان العام 1982 كان في لقاء رباعي ضم الحزب الشيوعي اللبناني والجبهتين الشعبية والديمقراطية ومنظمة العمل الشيوعية، واتخذ القرار في ظل القصف، يومها قال ابو علي نحن الفلسطينيين ظرفنا لا يسمح بمقاومتهم، وبالتالي عليكم ان تتولوا قيادة المقاومة ضد الوجود الاسرائيلي، وبالفعل تمت المقاومة الوطنية اللبنانية.

من جهته قال صالح رافت نائب الأمين العام للاتحاد الديمقراطي الفلسطيني (فدا)، وهو يستعيد بذاكرته اياما للشهيد الرفيق ابو علي مصطفى

انه كان على علاقة تاريخية به منذ بداية الستينات عندما افرج عن الشهيد من سجن الجفر» وعاد الى بلدتنا عرابة كانا والدينا يعرفون بعضا جيدا قبل النكبة عندما كانوا في حيفا، والد الرفيق ابو علي مصطفى ووالدي كانا من تلامذة الشيخ عز الدين القسام في مسجد الاستقلال في حيفا، واستمرت العلاقة بينهما بعد الهجرة والنكبة 48 وعندما افرج عنه في بداية الستينات كنت التحقت بحركة القوميين العرب قبل الافراج عنه، وبعد الافراج عن الشهيد اصبح يتابعنا بشكل مباشر وافتتح مكتبة جيدة احتوت كتبا متنوعة بالاضافة الى مواد القرطاسية لنتردد عليه بشكل دائم و في جنين انشا ايضا مكتبة هناك وكنا على تواصل دائم وكان حريصا على التواصل مع الجمهور وكوادر واعضاء الحركة في المدينة حيث كان هو المسؤول الاول عن الحركة في جنين وكان يتسم بالتواضع الشديد، كل شخص في عرابة وتحديدا من الشباب يرى في الشهيد الصديق والاخ والاب، وطبيعة شخصيته وعلاقته العامة مع المواطنين جعلت منه قدوة ومثالاً للمناضلين وخاصة ان كل الناس كانت تعرف انه قد امضى عدة سنوات في سجن الجفر الصحراوي ولذلك يلقى التقدير والاحترام من قبل المواطنين سواء في بلدة عرابة او البلدات المجاورة في مدينة جنين.

واستطرد يقول، كان هو عمليا المسؤول العسكري الاول المشرف على كل العمليات العسكرية ضد الاحتلال الاسرائيلي وعلى ارسال الدوريات والسلاح والكوادر الى الاراضي الفلسطينية المحتلة في الضفة والقطاع انطلاقا من الساحة الاردنية، وبقي الرفيق ابو علي من ابرز قيادات الجبهة الشعبية والتي دافعت عن الثورة الفلسطينية ببسالة في احداث ايلول في الاردن، اتسم اثناء معارك احداث ايلول وجرش وعجلون بالشجاعة والاقدام والحرص على تكاتف كل القوى الفلسطينية، وبقي ابو علي مصطفى دوما انظاره تتجه الى الاراضي الفلسطينية المحتلة.

واكد،ان ابو علي باستشهاده ترك فراغاً كبيراً فقد كان حريصا على تعزيز وحدة منظمة التحرير وكان يحظى بتقدير من القوى السياسية اليسارية.

وعن دور ابو على القومي والاممي شدد رافت ،ان دوره بصفته الامين العام للجبهة الشعبية وعلاقاته مع العديد من الاحزاب العربية واليسارية والشيوعية في العالم كان يحظى بتقدير كبير من حركة التحرر الوطني العربية واحزابها اليسارية والتقدمية وكان يحظى ايضا باحترام الاحزاب الشيوعية والديمقراطية في العديد من مناطق العالم سواء في البلدان الاشتراكية او في امريكا اللاتينية واحزاب افريقيا واسيا بحكم العلاقات الموجودة بين الجبهة الشعبية والعديد من الاحزاب اليسارية.

وانهى رافت حديثه الذي لا ينتهي عن الشهيد ابو علي بالقول، كنت ارى انه لو ان ابو علي بيننا اليوم لكان هناك دورا اكثر واكبر للجبهة الشعبية في تعزيز الوحدة في اطار منظمة التحرير الفلسطينية وتفعيل المنظمة كممثل شرعي ووحيد للشعب الفلسطيني وايضا كان من الممكن ان تتوحد قوى اليسار والتقدم الفلسطيني في اطار ائتلافي موحد يعزز دورها في صفوف الشعب الفلسطيني ودورها في منظمة التحرير ودورها في التصدي لكل سياسات واجراءات الاحتلال الاسرائيلي، –ما زالت هذه القوى تتعثر حتى الان في ايجاد صيغة ولو تنسيقية بين القوى اليسارية والتقدمية الفلسطينية، بالاضافة الى الاهداف الوطنية التي كرس ابو علي كل حياته من اجل تحقيقها وتحقيق الحرية والاستقلال العودة للشعب الفلسطيني كان عنده رؤية لكيفية النظام السياسي الفلسطيني كنظام ديمقراطي حقيقي تعددي، لا يتحكم فيه حزب شمولي من خلال ضرورة تحقيق المساواة بين الرجل والمراة في المجتمع الفلسطيني وتحقيق العدالة الاجتماعية لكل فئات المجتمع وتحديدا في الطبقات الفقيرة في المجتمع، اهداف سعى من اجل تحقيقها الرفيق ابو علي مصطفى ما زالت تنتظر.

الشهيد أبو علي مصطفى على رأس وفد الجبهة في فيتنام

Digitized by Birzeit University Library

أبو علي معين لا ينضب عطاءً (مواقف وذكريات)

أبو أحمد فؤاد عضو المكتب السياسي
للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين

في ذكرى استشهاد القائد الرفيق (أبو علي مصطفى) تأخذنا الذكرى بعيداً، وإلى سنين خلت. نستذكر شيئاً من مناقب، ووقفات الرجال.. لعلها تكون زاداً لديمومة النضال.

لقد عرفت الرفيق الشهيد (أبو علي مصطفى) عن قرب وكثب، ولا أظن أن هناك مجالاً أو ميداناً تُختبر فيه همم الرجال ومعادنهم أكثر من ميادين البطولة، والتضحية، والفداء!!

كان لي شرف العمل إلى جانبه بحكم ما أنيط بي من مهمة قيادة القطاع الأوسط، في الضفة الشرقية لنهر الأردن (الغور) وهو قطاع مترامي الأطراف قبالة أرض فلسطين المحتلة عام 1948، في وقت كان فيه شهيدنا مسؤولاً للجنة العسكرية التابعة للجبهة، وأنا عضو فيها. ذلك ما يسمح لي بالإضافة إلى القرب منه لسنين طوال، بأن أسترجع من ذاكرة السنين عديد المواقف التي تُسجل للرجل، أذكر منها:

عُرف الرفيق أبو علي وهو يشغل منصب مسؤول اللجنة العسكرية أوائل السبيعينيات من القرن المنصرم، أي أوائل عمر الثورة، ببعد البصيرة، والرؤية الثاقبة، فقد كان يؤمن إيماناً عميقاً بأن وجود المقاتلين والسلاح والعتاد في الداخل الفلسطيني أكثر أهمية، ومضاء في خدمة الثورة، والهدف من الخارج. ولطالما كان يردد: «الداخل هو الأساس، والخارج رديف». وعليه، حرص وبشدة – ونحن معه – لتأكيد هذه الرؤية واقعاً، فكانت الدوريات تلو الدوريات بأسلحتها وعتادها تدخل إلى الداخل الفلسطيني، (إلى المدن والقرى) في الضفة الغربية وقطاع غزة .

لم يكتف (أبو علي) رحمه الله وكمسؤول بأن يدفع بالرجال وينتظر فعلهم، بل ذهب معهم، ودخل الأرض المحتلة، مشرفاً، ومعداً وموجهاً ومؤطراً لكل ما من شأنه أن يصنع الفعل، وأن يخلق الثورة على الأرض.

ظل كذلك إلى أن اكتشف أمره، وبدأت مطاردته من قبل العدو، مما اضطره للتوجه إلى عمّان. ولم ينفك عن القيام والإشراف على كل حركة نحو الداخل ومتابعة كل أمر بهذا الخصوص.

لن أنسى ما أقدم عليه عام 1970، حين اعتقلت من قبل الجيش الأردني إبان أحداث أيلول، فأصدر تعليمات للرفاق العسكريين باعتقال (ضابط) من الجيش الأردني كي يطلق سراحي خلال عملية تبادل. وقد فعل، فأذعن الجيش الأردني، ولم يدم احتجازي طويلاً في زنازين (العبدلي)، ولو بقيت في ذلك السجن لرأيت صنوفاً من العذاب على يدي عناصر الجيش، إذ كان الحقد والحنق والكراهية هو ما يتسيد الجو العام آنذاك. وأزعم أن الخطوة التي اتخذها في هذا الشأن إنما تنم عن الحزم والجدية العالية لديه في اتخاذ القرار ومعالجة الأمور وبالسرعة اللازمة.

ذهبت برفقته يوماً إلى فيتنام للاطلاع، والوقوف من كثب على التجربة الفيتنامية، والتي أتت أكلها في مقارعة الإمبريالية الأميريكية وقوتها العسكرية الغاشمة. وقد اطلعنا على صور (بانورامية) عديدة من نضالات الشعب الفيتنامي البطل، وتبادلنا الأحاديث والآراء مع الرفاق، بل وأقمنا مقارية بين قضيتنا وقضيتهم،على الرغم مما فيها من اختلاف هنا وهناك، وقد اتفقنا مع الرفاق الفيتناميين على ضرورة إرسال عديد الكوادر الجبهوية للقيام بدورات تدريبية للاستفادة من التجربة، ولمزيد من اكتساب الخبرة والدربة لدى مقاتلينا.

ونحن نعيش ذكرى استشهاد الرفيق القائد، يحضرني ما قد جرى في زيارتنا واجتماعنا مع عبد الحليم خدام الذي كان يشغل حينها منصب نائب رئيس الجمهورية العربية السورية، وهو الذي كان يطلع بدور مباشر الملف الفلسطيني.

يومها قال خدام للرفيق أبي علي: «أنتم قتلتم مستوطنين، وهذه الأعمال لن تفيدكم، بل ستجلب عليكم استنكاراً دولياً». مما دفع (أبي علي)– رحمه الله للرد بقوة على هذا الاستفزاز والانسحاب من الاجتماع. ولم يعد إلا من بعد تراجع خدام عن موقفه وقوله، بل أبدا من بعد تهذيبا وليونة في القول. ذلك ما يُثبت للرفيق أبي علي مصطفى جرأته.

يُشهد للرفيق أبي علي أنه ممن كتبوا بتوسع عن (البيروسترويكا)، وغورباتشوف إبان الدولة السوفيتية، بل إنه قد قال مستقرئاً لما يقوم به غورباتشوف وما يطرحه من أقوال، «سيؤدي بالدولة السوفيتية إلى التفكك»، وهو ما سيصيب العالم الثالث وحركات التحرر في العالم بالضرر الكبير، كما أنه سيؤدي إلى

تفرد الولايات المتحدة بالقرار الدولي موقف» ورؤية (أبي علي) مثبتة بخط يده على مساحة عشرات الصفحات.

وهو من قال:

إن الحياة خير مختبر وشاهد على صحة المقولات وصدارتها العلمية، وأن التناقض أساس الحياة، والحياة تأتي بالجديد.

لا يمكن تحقيق إنسانية الإنسان ما دام هناك اضطهاد واستغلال، وقهر طبقي وقومي، والقهر الطبقي هو أساس الصراع، وموجه لحركة التاريخ.

إنّ إيماني عميق وقوي ومتين بأن الديمقراطية لا تنفصل عن الاشتراكية، وأن هناك ديمقراطيتين: ديمقراطية (اشتراكية)، وديمقراطية (برجوازية ليبرالية).

إن أخطاء الأحزاب هي التي تفسر تعقيدات تطور البلدان الاشتراكية بصورة أساسية، إضافة إلى العوامل الموضوعية الأخرى.

لقد جمعنا لقاء بالعقيد معمر القذافي وكنا أربعة (الرفيق أبو علي، وأنا والرفيقين تيسير قبعة، وعمر قطيش)، وبعد مضي شيء من الحديث طلبنا من العقيد مساعدة مالية، فقال: أنا لا أحكم، ولا أستطيع أن أقدم لكم شيئاً، من يحكم هو اللجان الشعبية، والمؤتمر الشعبي العام، وهذا الأمر يستوجب طرحه عليهم!!

فقال الرفيق أبو علي:

هذا الكلام مفيد للإعلام، أما أن يُقال لنا فنحن نعرف أنك أنت صاحب القرار!!

عندها أجاب العقيد:

أنا لست صندوقاً مالياً، أريد أن نعرف ماذا تفعلون، وما هي مواقفكم السياسية، وما هي ممارستكم العملية ضد العدو!!

فردّ عليه أبو علي بشيء من الانفعال: نحن لا نريد منّة منكم، ولا نريد فلوسكم إذا كنتم تنظرون إلى المقاومة بهذه الطريقة، فالصناديق كثيرة عند الدول العربية، وغيرها.

لو كنا من النوع الذي يقبل بالمال المشروط، لوجدنا عشرات الصناديق التي تدفع لنا.. عليكم يا سيادة العقيد أن تتعاملوا معنا بمنظور قومي ونضالي.. فتحرير فلسطين مهمتكم كما هي مهمتنا.

وقد خرجنا من اللقاء والجو متوتر، وإن مدح العقيد المقاومة، والجبهة في آخر اللقاء!!

وكرد فعل من العقيد القذافي على كلام أبي علي، صدر بيان من الجانب الليبي يُفيد بأن الأخ القائد قد استقبل وفداً من الجبهة الشعبية بقيادة الأخ تيسير قبعة.

وهذا ما يشي بأن هناك استفزازاً لأبي علي، وقد قام الرفيق تيسير بالاتصال بالليبيين مستفسراً عن خلفيات هذا البيان، فقالوا له: لا نستطيع أن نفعل شيئاً، فأنت تعرف مثل هذه الأمور فالقائد هو من يصدر التعليمات!!

لم يظهر الرفيق أبو علي غضباً حيال ذلك، وتفهم الأمر وقد استقبله بصدر رحب، مُفضلاً ألا يثير مشكلة. ولعلني أتذكر جيداً كيف طرح الرفيق أبو علي ومع أكثر من مسؤول عراقي خلال زياراتنا المتعددة للعراق، أهمية الانفراجات الداخلية، منوهاً احتمال قيام الولايات المتحدة بعمل عدواني ضد العراق، وقد دعا إلى تصليب الساحة الداخلية، وكان جريئاً وصريحاً في طرحه، على الرغم من حساسية ذلك لدى القيادة العراقية.

هو نا الرفيق أبو علي مصطفى – رحمه الله... قيادة حكيمة، تواضع جم، وشجاعة وجرأة وإقدام، ثبات على المبادئ، يدافع عن قناعاته بصلابة مهما كانت النتائج، في حين أنه كان الأكثر التزاماً بما تقرره الهيئات الحزبية، فهو ينصاع لرأي الأكثرية.. ينفذ القرارات بدقة وحماسة على الرغم من عدم قناعته، أو مأخذه، أو رؤيته على ما جرى الاتفاق عليه.

في ذكرى الشهادة لا نملك إلا أن نستمطر شآبيب الرحمة عليه، فقد كانت خسارتنا في فقدانه كجبهة شعبية كبيرة جداً، وكذلك خسرته الساحة الفلسطينية والعربية وساحات النضال العالمية.

وعزاؤنا أن ذكراه ما زالت حية فينا، تنهل من معينه النضالي بلا حدود!!

رسالة الى المعتقل احمد قطامش

عزيزي احمد، تحية حارة وبعد:

كثيرا تفاعلت بيني وبين نفسي اثر خبر اعتقالك وتخيلت الايادي التي تظافرت لحياكة الامر .ولا شك انه يصعب اليوم التاكد من نظافة البيئة المحيطة بالفلسطيني ،ويصعب على الفلسطيني ان يصمت .لا اقول عن المهزومين ولا عن المنتفعين ولا عن ذوي العقل الخامل ولا عن الذين تعلموا من الخرزة (وحديثي هنا محصور عن الصف القيادي)اقول... عن الفلسطيني الذي آمن بمصيره والتحم بالمستقبل وبانتماء عميق للجماهير واستعداد لا نهائي للعطاء وبقوة روحية لا تنضب .اقول عن الواحد من هؤلاء .

والواحد من هؤلاء يكشف .يكشف عورة اولئك جميعا ، فيسرهم رجمه ممتنين .

لقد تفاعلت مع الامر واعدت الاستذكار والتقييم لتاريخ طويل على طريق الحرية فأخذت اغمس خبرتي بالكتابة

قطعت شوطا في كتابة كراس «ازمة القيادة الفلسطينية من اللجنة التنفيذية العربية وحتى اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير»وشوطا في كتابة كراس «وان جندنا لهم الغالبون»هو عبارة عن دراسة وعرض وتحليل لكتابات عقائدية، وكتبت عددا من المقالات نشرتها في الصفحات الالكترونية .

اعلم يا صديقي انك تتنفس بالقراءة والكتابة في السجن وبالحوارات والندوات والمحاضرات .وربما لا زلت «تتعاطى » الرياضةكزاد لصحتك وجريا على العادة .ومع ذلك لا استطيع ان اقول اني اغبطك ،فهذا عزاء لا يصلح لك ولا لي .والحقيقة وبدون لف ولا دوران انني آلم منذ علمت بالخبر عن» شريط الجزيرة «

هذه الشاعر .رغم انني اعلم انك لست ممن «يتمتعون تحت بساطير الاعداء بما كسبوا» ولست منهم ولن تكون .ولا اقبل بالتالي تقولات البعض للمقارنة «هؤلاء ينعمون في ..وهؤلاء في القيد .

نحن لا نرى انفسنا في القيد، وكذلك لا نحلم بأن نكون مع النقيق.مع اننا نحلم كثيرا. بل ان الحلم غدا جزءا اساسيا من حياتنا .اننا نحلم بالغد لشعبنا وليس بالمنصب لانفسنا .لهذا بالضبط «تخيلت الايادي التي تظافرت لحياكة الامر»

ان مقاييس الشرف قد اختلفت .ولكننا لا زلنا نعتز بشرفنا الوطني وشرف امتنا .فهل يكون حلمنا سوى بالغد ولشعبنا حرا ابيا على ارض فلسطين من الازرق الى الازرق؟ وهل تكون سعادتنا الا بمقدار ما نغرق في هذا الهم؟

عزيزي احمد :انك لم تعش حياة مدنية عادية منذ ما قبل سن العشرين وحتى يومنا هذا .فاما مناضلافي السجون او مناضلا في الاختفاء والمطاردة او قلقا على المستقبل ، كل هذامتصلا مع رهافتك وشوقك لعائلتك وروحك المشحونة وطيبتك.

يا عزيزي اننا نحب وبطريقتنا ،وسوف نعيش ونموت ولا يقتلنا الهوى،فهذا الحب جزء فينا ولد معنا وسنورثه ولا يموت فينا. فهل يعلم «ذوي الايادي التي تظافرت لحياكة الامر؟والى اللقاء.

Digitized by Birzeit University Library

الشهيد أبو علي مصطفى سيبقى حياً في ذاكرتنا

عزمي الخواجا

كان شهيدنا مبادرا منذ شبابه، وكان له الدور البارز في تشكيل حركة القوميين العرب، وعندما تم تشكيل الجهاز النضالي لحركة القوميين العرب لبدء الكفاح المسلح ضد اسرائيل، كان من المبادرين للانخراط في هذا الجهاز في بداية الستينات، وتدرب في قاعدة انشاص العسكرية في الجمهورية العربية المتحدة، وعندما انطلق العمل الفدائي بعد خمسة حزيران 1967 حضر سراً إلى الضفة الغربية، وقاد أول قيادة لحركة القوميين مركزها في رام الله، ثم تحولت القيادة للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين في أواخر 1967، ثم قائداً للجهاز العسكري في القواعد في الأغوار، وبعد أحداث أيلول كان مسؤول القطاع العسكري في جرش وعجلون، وفي تموز 1971 سافر إلى لبنان متخفياً وباسم مستعار.

كان الشهيد معلماً ومدرسة في الانتماء الحزبي والدعوة إلى الوحدة الوطنية وتعزيز الكفاح الوطني، وكان الشهيد أبو علي من دعاة الوحدة الوطنية الفلسطينية وشكل رافعة للحالة الوطنية عندما كان يحيط بها اليأس والإحباط، وأن الوحدة الوطنية الفلسطينية شرط من شروط الانتصار، خاصة أن اسرائيل وقادتها يلعبون على التناقضات في المعسكر الفلسطيني ويعملون على الفرقة في هذا المعسكر حتى تكون الغلبة لهم، وحتى يظهرون للعالم أنهم يواجهون خصماً مشتتاً، وليجعلوا الكرة دائماً في الملعب الفلسطيني، إن الحوار الوطني بالضرورة يجب أن يكون واضحاً وجاداً وصريحاً، وليس ميداناً لأن يسجل أحد نقاطاً على الآخر، إن منطق القاعدة المذهبية التي تحكم الجميع والتي تنطلق من أن المصلحة الوطنية العليا هي المعيار الجدي للقرار السياسي، وإن لا تمارس سياسة خداع الذات.

إن الشهيد أبو علي مصطفى كان يتمتع بنظرة ثاقبة وجذرية في رؤيته للأمور، كان يرى ضرورة توحيد المفهوم حول طبيعة المرحلة التي يخوضها النضال الفلسطيني ، وان يكون واضحا هل نحن في مرحلة تحرر وطني ام في مرحلة بناء اجتماعي، نحن ما زلنا نعتبر انفسنا في مرحلة تحرر وطني، بالاضافة لذلك يجب توحيد المفهوم حول افاق الصراع مع العدو الصهيوني ، فقد تم تشويه هذا العنوان، وحول الصراع مع العدو الى حالة نزاع والبعض حوله الى حالة سلام دون الاستناد الى حقائق تاريخية تجيز هذا التغيير.

كان يرى ضرورة الربط بين النضال التحرري والنضال الاجتماعي، وان يسيرا الإثنين جنبا الى جنب، لا ان نكتفي بالنضال الاجتماعي ونهمل النضال التحرري، فالكفاح المسلح يسير مع الكفاح الشعبي وان يكون الاثنين مكملين لبعضهما، وضرورة الربط بين الحل المرحلي والحل الاستراتيجي، فحل القضية الفلسطينية المرحلي هو انشاء دولة فلسطينية مستقلة وذات سيادة وعاصمتها القدس الشرقية على حدود الرابع من حزيران 1967، اما الحل الاستراتيجي فهو اقامة دولة فلسطينية على ارض فلسطين التاريخية مع حفظ حق اليهود الذين سبق وعاشوا في فلسطين قبل عام 1948، كما يجب الربط بين الوطني والقومي، بمعني ان الوطن العربي هو العمق الجغرافي لفلسطين، وان تحرير فلسطين يتم بمساعدة الدول العربية، وانه لا يمكن ان تتحرر فلسطين دون ذلك، ولهذا لا بد من استراتيجية وطنية فلسطينية ، ولا بد من مراجعة سياسية شاملة لفهم العدو، ان مرتكزات سياسية سلمية مع مرتكزات اقتصادية قادرة على ادارة الصراع مع مرتكزات اجتماعية تنظيمية جيدة ومرتكزات حق مقاومة الاحتلال .

وعندما صدر قرار العودة من المكتب السياسي للجبهة الشعبية، عاد الرفيق ابو علي في شهر أيلول 1999 الى ارض الوطن، حيث زار الشهداء، وزار كافة مناطق الضفة والقطاع، وفاء لشعبه وشهدائه واسراه، وحينها قال « اذا ما ظن احد ان عودة اي شخص منا سواء كان

عضوا او كادراً او مسؤولاً لها ثمن سياسي فهو واهم، فنحن متمسكون ببرنامجنا واهدافنا وكل حق بوسائل النضال حتى يحقق شعبنا الفلسطيني حقوقه الوطنية والتاريخية»، واضاف حيث قال « عدنا لنقاوم لا لنساوم»، وعاد الى ارض الوطن ليباشر عمله القيادي على المستوى الوطني والحزبي، وقد استطاع ان يقوم بدور وطني بارز في قيادة العمل الوطني وفي الانتفاضة، وفي تعزيز الوحدة الوطنية، ان وجوده على ارض الوطن شكل رافعة للحالة الوطنية، وقال « نحن لا نعتبر انفسنا بديلا عن الاجماع الوطني ، بل نحن جزء من حالة وطنية عامة وشعبية معارضة موجودة في الوطن والشتات، دورنا فيها ومن خلالها يقوم على مبدأ التعاضد في حماية المصالح الوطنية للشعب والنضال من اجل اهدافه العليا ».

في السابع والعشرين من آب 2001 قصفت طائرة الأباتشي مكتب ابو علي مصطفى، واستشهد فورا حيث تم القصف بتخطيط وتعليمات مسبقة من شارون، لان شهيدنا كان جذريا وملتزما بقضيته لا يساوم، وكان ابو علي اول امين عام يسقط شهيدا على ارض فلسطين، لكنه سيبقى حيا في ذاكرتنا وحيا في ضمير شعبنا، كان قائدا مضى ولم يركع، وكان زيتاً ابديا خالدا يشتعل ويتوهج في بوتقة النضال، انه خسارة وطنية وقومية فادحة، هذه الجريمة الاسرائيلية لن تزيد شعبنا الا اصرارا على حقوقه، أبو علي مصطفى ابن فلسطين، كان مرفوع الهامة في حياته وبعد استشهاده، وسيواصل شعبه قرع جدران العالم، كان يمتاز بطهارة قلبه ونظافة جيبه وشفافيته الاستثنائية ونقاء سريرته، كان نموذجا ومثالا في البساطة متقشفا في حياته وحدوياً وغيورا على مصالح الفقراء ومدافعا عن حقوقهم، صلبا في مواجهة العدو حازما ومبدئيا في التعبير عن قناعاته، باحثا عن خطوط التجمع للجهد الوطني، ديمقراطي ويصغي لآراء الآخرين.

لقد فقدنا قائدا ورمزا وامثوله، لكن قوة المثال التي اعطاها في حياته واستشهاده ستبقى قصة تحكيها وتنشرها الاجيال، قال الشهيد ان الافراد في تاريخ كل الشعوب والثورات والحركات يلعبون دورا جوهريا، لكن الافراد لا يقررون مصير تنظيم، ما دام هذا التنظيم قائم على اساس ومرتكزات يكون العمل الجماهيري هو الاساس، وقال ان الشعب الذي قدم واعطى على امتداد عقود من الزمن بدون كلل يتصدر اليوم خيار المقاومة في مواجهة العدو الصهيوني، واعاد الثقة بالنفس لمن فقدها، واكد للعدو ان ليس الشعب الفلسطيني الذي يختزن تجارب ودروس قرابة قرن من الزمان من تفرض عليه الحلول الاستسلامية .

قالو عن الشهيد كنت صادقا وامينا لمبادئ وافكار مشروعنا الوطني التقدمي الديمقراطي، فانت التقدمي بالموقف والرؤية والانساني بلا حدود، لذا كنت قائدا وطنيا فلسطينيا بامتياز وبجدارة، زرعت وطنا حيا واشجار رمان وزيتون، وزينت بواباته باغصان السرو والزيتون، والذين اغتالو الشهيد ابو علي مصطفى لم يختارو عينة عشوائية لاشباع فهمهم الاجرامي الدموي لديهم، او حتى توجيه رسالة سياسية الى طرف فلسطيني اخر، بل انتقوا ضحيتهم بعناية وهم يعرفون سلفا ماذا يمثل لدى شعبه، لقد ادركنا ببساطة ان ابو علي يمتلك بجدارة كل الصفات الاصيلة للثوري الحقيقي، وليس لثوري الصالونات ووسائل الاعلام وهي صفات جبل من ثوريي الحركة الوطنية الفلسطينية على اختلاف مشاربها ، يمضون مع كل اسف واحدا بعد الاخر مخلفين فراغا كبيرا في الساحة الوطنية والفكرية والكفاحية .

ما احوجنا اليوم للرفيق ابو علي مصطفى والساحة الفلسطينية منقسمة منذ اربع سنوات، لم يلح في الافق صوت حقيقي يريد الوحدة الوطنية، فالانقسام يزداد شرخا، والجرح الفلسطيني لم يندمل، ونحن على ابواب استحقاق شهر ايلول القادم لانضمام الى الامم المتحدة لتكون دولة فلسطين كباقي الدول المستقلة ذات السيادة، ان الانقسام الفلسطيني يؤثر تاثيرا كبيرا على استحقاق ايلول القادم، ان الوحدة الوطنية الفلسطينية يجب ان تتم قبل استحقاق ايلول وقبل الذهاب الى الامم المتحدة .

لكننا نقول انا كان حزننا كبيرا بفقدان المناضل والقائد ابو علي مصطفى، فان سعادتنا اكبر لان باستشهاده خلق لامتنا المناضلين الذين يسيرون على درب ابو علي، باحثين عن طريق الكرامة العربية، وعن شموع تضيء طريق النضال نحو تحرير الارض الفلسطينية، فلسطين العزة ، فلسطين الكرامة .

عبيد المرحلة واللغة الفلسطينية

خالد بركات:

يبدو ان مرحلة «اتفاق اوسلو» سيئة الصيت والسمعة قد وصلت الى جدار اخير وبدأت تشارف على نهايتها وهي تلفظ انفاسها الاخيرة . لكن هذا لا يمنع من القول انه خلال العقدين الاخريين خلق لنا العدو الصهيوني لغة هجينة تعلمتها «القيادة الفلسطينية» وبسرعة في رام الله. لقد كانت هذه القيادة جاهزة ومستعدة كي تتقاسم الضفة والقطاع مع هوامير المال ونظام الواسطة و» العائلات «الكبيرة ! وهي لم تعد تخفي هزيمتها ، بل لم تعد تجتهد في تقديم المبررات للشعب الفلسطيني!

السياسي الرسمي في منظمة التحرير لم يخترع هذه اللغة، هو لا يخترع اي شئ، لقد ادمن حياة المكاتب والسفر والمخصص والتنظير على سكرتيرته ومريديه وهو يحدثهم كيف كان بطلا في عمان وبيروت وما بعد بعد، بيروت . ولانه جاهل ، وريفي الفكر وبدائي ، استعان بمثقف فلسطيني هجين ، شحذ قلمه وبرر كل كوارثه ، وفق لغة جديدة ، قوامها الزيف والتضليل والصلاة على النبي!

صاغ المثقف الفلسطيني الفاسد لغته الجديدة بعد اتفاق اوسلو ، مقولات كثيرة لا حصر لها ، بدأت بمقولة «السلطة الوطنيه الفلسطينية» و«سيادة الرئيس» و«مشكلة اللاجئين» و«حل متفق عليه» ولم تنتهي ب» ضرورة رأب الصدع بين جناحي الوطن» وانهاء الانقسام!

هذه هي لغة المرحلة، ان مفردات مثل « الثورة» و «التمرد» و» الفداء» و «الارض المحتلة» و «الوحدة الوطنيه» لم تعد موجودة تنفيذا لرغبة مشتركة جمعته مع العدو ، لكنه برر فعلته بحجة «الالتزام باتفاقياته الدولية» وهي كلمة رديف لمعنى الهزيمة والخنوع. وان اقدم فلسطيني او فلسطينية حرة وحرة على ترجمة مقولة واحدة من تلك «اللغة القديمة» الى عمل حقيقي تراه العين ويؤذي العدو، سيلاحق هو وعائلته من اجهزة السلطة ومن جيش الاحتلال على حد سواء.

ملاحظة اخيرة: كتب الشهيد غسان كنفاني عن اللغة العمياء، التي ان هيمنت ستقود بالضرورة الى العمى والطريق نحو الكارثة المحققة. لكنه ابدا لم يكن يتصور ان فلسطيني فاسد سوف يذبح شعبه ويقزم قضيته ثم يتبنى رواية العدو، كلها ، من الاسم وحتى اخر السطر!

Digitized by Birzeit University Library

أبو علي مصطفى ...

القمر الذي أطل فوق سماء فلسطين

إحسان سالم «أبو عرب»

قبل عودة أبو علي مصطفى إلى الوطن، نصحه العديد من الأصدقاء والرفاق بعدم النزول، وأن هذه العودة تشكل مخاطر كبيرة قد لا ينجو منها، وكعادته وبكل هدوء أجاب: «دائماً يوجد في فلسطين متسعٌ لشهيد آخر». هكذا وبهذه الروح العارمة رجع هذا الشهيد إلى الوطن حيث دفن هناك ولم يغادره... هذه هي الروح النضالية الرفيعة التي كان يتحلى بها الرفيق الشهيد أبو علي. هذا هو الرجل والقضية، الرجل والموقف. وحينما تختلط هذه الصفات برجل واحد فهو يجسد الموقف الملتحم مع الشعب المكافح، وتجسد الروح الإبداعية لشعب تعلم للتو كيف يقود معاركه بجدارة واستحقاق حينما اندلعت انتفاضته الثانية وكانت بصمات أبو علي قريبة منها بل بالكاد تجد الفارق ... هذا هو أبو علي الذي عرفتُه وعرفتُ فيه الكثير الكثير من المخزون الثوري والإيمان الذي لا يتزعزع.

ليس المقصود هنا الحديث عن أبو علي الإنسان، ولو أن ذلك أمراً ضرورياً، لأن هذا المناضل قد أضاء وهجاً كبيراً لمسيرة شعبنا، فكان مناضلاً بشكل استثنائي وفلسطينياً بشكل خاص جداً.

لماذا اغتيل أبو علي؟؟

لأنه كان فارساً لم يعرف استراحة المحارب ولا هدنته ولا ندمه.

عندما بدأت تباشير الانتفاضة ظل حاملاً سيفه، ومات وسيفه في يده.

لأنه علم بحسه الثاقب وتجربته الفريدة بأن الفلسطينيين قد وقّعوا في أوسلو على صك استسلامهم، وقد عاد لكي يحاول إصلاح ما أفسده هذا النكوص، ولإعادة التوازن للحركة الفلسطينية المناضلة.

لأنه كان يؤمن بعروبة فلسطين، وأن تحريرها واجب على كل فرد فلسطيني.

لأنه كان ملتزماً بتبني قضية شعبه على نحوٍ جذري وحاسم.

أبو علي كان لا بد وأن يُقتَل بقرار صهيوني طالما أنه بدأ بصياغة ما بعد تداعيات أوسلو وشرع بإعادة الاعتبار لما تم حذفه من الميثاق الوطني، وكما قال: *عدنا لنقاوم لا لنساوم*.

حينما ظن الصهاينة أن الفلسطيني قد استكان ورضخ حينما ركع في أوسلو، لذلك ولكل ذلك كان لا بد أن يُقتل، طالما أنه يعد لإحياء المقاومة، ولأنه كان يؤمن بأن زوال الكيان الصهيوني هو حتمية تاريخية، لذلك قتلوه.

عاد إلى الوطن وهو مدرك لكل ما يمكن أن ينتظره، فهو من استشعر الخطر المحدق بقضية شعبه التي آمن بها إيماناً كلياً، خاصةً بعد سقوط منظمة التحرير في براثن أوسلو، وخوفه على أبناء شعبه ورفاقه من ثقافة الاستسلام والهزيمة التي بدأت تستشري بالساحة الفلسطينية كنتيجة طبيعية لهذا الاتفاق واستحقاقاته، عاد إلى الوطن رغم المخاطر، ولكنه آثر أن يتحمل تبعات هذه العودة.

منذ عودته لم يحاول مطلقاً أن يداري تعاسة الواقع المفجع الذي يعيشه شعبه ولا الانحرافات التي حصلت، لقد أراد أن يغير هذه الصورة مع الجماهير، ولأنه من صُلب هذه الجماهير وقضيتها فإنه وهب حياته لغد حر مشرق لشعبه، ولكن هذا الغد المشرق كان يحتاج دوماً إلى فرسان مقاتلين، فقد هوى هذا المقاتل في زمان الاشتباك ولكنه ظل فارساً.

ومن هنا أقول فلتكن هذه الذكرى العاشرة حافزاً لاستلهام دروس الكفاح والنضال ولتجديد الدعوة المخلصة للقاء القوى الثورية في ساحة المعركة، وتبنّي استرتيجية كفاحية موحدة تؤدي أساساً لبروز منظمة التحرير الفلسطينية موحدة تأخذ على عاتقها توحيد طاقات الجماهير الفلسطينية، بحيث نتجاوز جميع المظاهر الاستسلامية التي أفرزتها المراحل السابقة من التمزق الوطني كي تتحمل مسؤولية قيادة النضال الثوري لقوى شعبنا المناضل.

ماذا نقول وقد خسرناه ونحن أشد ما نكون حاجةً إليه وإلى أمثاله، إلى إيمانه والتزامه على مدى سنوات عمره بالعطاء، في الوقت الذي تساقط العديد كأوراق الخريف.

وتعود دورة الأيام بعد عشر سنين، وتأتي ذكرى أبو علي ومعها نكون قد دخلنا في أيام فلسطينية جديدة بعيدة كل البعد عن أبو علي. ويبقى شعبك أيها الشهيد وتبقى فلسطين التي أصبحت بعد رحيلك أكثر حزناً مما كانت يوم عدت. وها هم أيها الشهيد أبناء وطنك المثخن بالجراح والمعروض للبيع الذين يتقاطرون على ذكرى استشهادك يعاهدونك على التمسك بنهجك وعلى تحصين مواقعهم خوفاً من الأيام القادمة والتي نحن في بداياتها.

أخيراً ماذا عن ما بقي لأبناء شعبك بعد رحيلك؟

لقد اختلف الحال، فمنهم من باع وأعياه النضال واستبدله بالمستقبل الآمن والتقاعد المضمون، ومنهم من هجر البنادق والثوابت والتحق بمعسكر السلام مع الأعداء، هؤلاء الذين كانوا في مؤخرة الصفوف حينما كنت أنت في المقدمة وهم اليوم يلهثون تحت أي ثمن ليبقوا على المنابر والمنصات.

أخيراً أقول ماذا بقي بعد رحيلك؟ بقي تراثك النضالي وعنفوان إيمانك الراسخ، ومنه يتزود رفاقك بالقوة كلما خارت القوى.

رحم الله شهيدنا والخلود لروحه الطاهرة.

أبو علي مصطفى

فارس لم يترجل

ليلى خالد
عضو المكتب السياسي للجبهة الشعبية

عندما امتطيت حصان المقاومة ومضيت من شمس لأخرى، كنت واثقاً بأنك ستصل إلى مبتغاك، لم تكن وحدك، بل مضى خلفك ومعك جيش من الفرسان، استلّوا سيوفهم رافعين رايات الوطن للوصول إلى الوطن. وكلما سقط أحدهم في الطريق، انضم آخرون كثر إلى موكب القافلة.

وكنت قائدهم...

تتعرج الطرق التي مشيتها.. لكن بوصلتك لم تخطئ الهدف، فلسطين.. وعلى الرغم من وعورة الطريق، منحدراتها وعثراتها، إلا أنك دائماً كنت قادراً على التغلب عليها، هل كان ذلك صدفة أم حظاً؟؟ أبداً، صلابة إرادتك وعزيمتك، إيمانك بأن الهدف يستحق المضي في كل الطرق الوعرة للوصول إليه متسلّحاً بالمبادئ التي ما بدلت ولا غيّرت خلال هذا المسير الطويل.

وكنت قائداً بحق...

لم تتعبك المسيرة، بل أتعبت من كانوا يراهنون على عدم قدرتك بالاستمرار.

وضعوا أمامك كل العراقيل، ولكنك وباقتدار تخطيتها، حاولوا ثنيك عن التوقف بإغراءات لم تلتفت إليها، وركلتها لكي تستمر القافلة بالمسيرة

التي تقودها...

وصلت إلى كل المواقع، وبقيت كالصخرة الشماء تحول الموقع إلى أداة عمل فاعل، وتحملت ثقل المسؤولية باقتدار

فبقيت قائداً بلا منافس...

هل كانت القيادة امتيازاً ؟ سعيت إليها لمنافع شخصية ؟؟

أبداً، هي القيادة التي آمنت أنها تكليفٌ وليس تشريفاً، ومن خلالها أرسيت قواعد القيادة، إنها مزيد من الفعل والعمل الجاد.. هكذا علمتنا لأنك قائداً ومعلماً...

المعارك التي خضتها سجلت لك شرف المواجهة وشجاعة قلّ نظيرها، في ميدان الفكر والسياسة والتنظيم، ولم يقل ذلك عن خوضك معارك المواجهة مع الأعداء في الميدان.

شهدت عليك السجون عنادك وصلابتك في وجه الجلاد، وخرجت أشد صلابة وأكثر عزيمة للاستمرار في المسيرة.

قارعت الحجة بالحجة كل المناوئين لمبادئك، وفرضت احترامك على من كان لجانبك ومن خالفك الرأي، حافظت على مسافة بينك وبين المختلفين معك، وتركت هامشاً للحوار معهم ونجحت في ذلك..

وكنت قائد الحوار..

رأى العدو فيك نصلاً قاطعاً، فحاول كسر سيفك وكنت قادراً على المناورة، واستمريت بالمواجهة من موقع لآخر، تستخدم أساليب جديدة في كل موقع لتقلل من الخسائر

أكان ذلك صدفة أم حظاً؟!

لا هذا ولا ذاك، بل لأنك تسلّحت بأدوات الفكر الإنساني، التي جعلتك بارعاً في التخطيط والتنفيذ، وقررت ألا تكتفي بما وصلت إليه بل أن تسهم في تطوير ما وصلت إليه

فكنت قائد التطوير..

أما زلت يا رفيقي تتكئ على حافة الشمس تنسج من خيوطها اللاهبة راية الحرية ؟؟

لا أخالك إلا وصدى صوتك يصدح في ذاكرتي أن للحياة معنى واحد، هو النضال من أجل إنسانيتنا التي فقدناها، لأن العدو انتهكها لاغتصابه وطناً نحلم بالعودة إليه

فكنت قائد الحلم...

فكرة المقاومة لم تأتِ من العبث، إنما من إرادة الحياة، والقدرة على ممارسة الحياة

فكرة المقاومة وممارستها جاءت بفعل ظلم تاريخي اكتوينا بناره، فتحولت هذه النار الظالمة إلى نار مقاومة حملت شعلتها لتواجه بها نيران الظالمين

وكنت قائد المقاومة...

وفي سياق المقاومة أضفت لها الكثير من قدراتك، ومن معارفك، لتجعل منها منهج حياة، وكلما اشتد الخلاف بين أطراف الخندق الواحد كنت تلوذ بمقولة:

* القلاع لا تسقط من خارجها بل من داخلها *

فعملت دوماً على تحصين القلعة من داخلها بمواقف لا تعطي العدو فرصة الدخول من ثغرة هنا أو هناك.

وإذا لم تسعفني ذاكرتي بقول كل ما عرفته منك وعنك، فإن ما لا تنساه هذه الذاكرة التي حفرت عميقاً بها موقفك من المرأة وقضيتها التي ما زالت قيد التداول والنقاش وتلخص هذا الموقف بالتالي: * على أهمية التحليل العلمي لواقع المرأة وسبب اضطهادها، فإن الأهم هو كيف نعمل من أجل تغيير هذا الواقع وإزالة أسباب هذا الاضطهاد *.

وفي كل المرات التي كان يحتدم فيه النقاش حول المرأة، كنت تقدم أفكاراً وآراءً من أجل حسم النقاش لصالح قضية المرأة

فكنت دائماً نصيراً للمرأة

وفي الميدان السياسي، برعت في صياغة الموقف

Digitized by Birzeit University Library

يقول القاروط:

د. يوسف عبدالحق

في إحدى أمسيات رمضان التقيت في البلدة قاروط حارتي المحبوب لدماثة حديثه رغم فجاجته في الصراحة، والقاروط من قرط أي أكل ونهب كل شيء تصله يداه، وهو لقب أطلق في التراث الشعبي الفلسطيني على الصبي حين يفقد والديه ويقع تحت قهر الوصي عليه سواء كان عمه أو خاله والذي كان يتفنن في قمع القاروط ونهبه في جميع المجالات المادية والأدبية طيلة عمره قبل الرشد حتى إذا ما رشد واسترد ميراثه من والديه وجد نفسه على الحديده كما يقال، يشحد لقمة الخبز ليعيش، ودفاعا عن الذات نجد القاروط يتمرد على كل شيء، وهنا أطلق عليه الناس هذا اللقب زورا وبهتانا في حين أن القاروط الحقيقي هو ذلك الوصي الذي قرط كل ما ورثه الصبي عن والديه،

لكن ما علينا، بدأ القاروط حديثه معي قائلا: كنت أنتظرك وغيرك بفارغ الصبر يا صديقي المنعم بالكنافه، ضحكت وضحك الجميع، قلت له هات ما عندك يا صديقي، تابع: كيف أكون صديقك وأنت تغوص في أوحال أوهامك وهوامير المال في ضفة فياض عباس، تحلق بدمائي وعرقي في استثماراتها عند صهيون البالغة 6 مليار دولار!!! والله أنا القاروط أصادق القرد ولا أصادقك!!!

قلت له هون عليك يا رجل، هذه الاستثمارات تعمل على تعزيز التفاهم بين الجميع إضافة أنها تمكننا من اكتساب التكنولوجيا، قاطعني وهو يقول: يا حبيبي!!! يا طالب الدبس من جلد النمس!!!! أنا لا أفهم ماذا جرى لكم أنتم المتعلمون ربع الياقات البيض واللسان الأعوج ، احنا قلنا هلا تعلمنا وما في حدا يقدر علينا، لكن الباين أنكم أي كلام، في مجنون ممكن أن يتصور أننا نستطيع أن نسرق التكنواوجيا من صهيون ورئيسنا قبل يومين لم يستطيع أن يعبر الجسر حين قرر نتنياهو منعه من ذلك!!!!

ثم تابع يقول ألا نطالب بمقاطعة البضائع الصهيونية، ألا نطالب بمقاطعة العمل في المستعمرات الصهيونية!!!! كيف إذن لا نحرك ساكنا ونحن نرى هوامير المال يدعمون صهيون، هنا اعتدلت وقلت بشيء من رد الاعتبار ولكن يا قاروط وزير الاقتصاد قال ذات مرة عن الاستثمارات قي المستعمرات الصهيونية أنها استثمارات لحماية الأرض الفلسطينية حيث أن هذه المستعمرات مقامة اغتصابا على الأرض الفلسطينية، تجهم وجه القاروط في غيظ وهو يئن متألما: أرجوك لا تتحدث عن الوزراء فهم فوق الشبهات ولا تورطني معهم فهم لا يتحملون المزح، ولا تنسى أنهم تحت حماية ميللر العم سام وأنت تعرف ما معنى ذلك يا فصيح،

لكن أرجوك أفهمني كيف نفكر في الاستثمار واكتساب التكنولوجيا والبطالة ضاربة أطنابها لتصل حوالي الثلث، احسب يا أفندي كم تشغل هذه الاستثمارات من عماله لو كانت في فلسطين، احسب بالله عليك، أجبته خجلا حوالي ربع مليون عامل، حينها قفز من مقعده راقصا وهو يغني « الله الله يا بدوي وجاب اليسرى» ،

تابع سخريته وهو يقول: أنت تعرف أنني غير اقتصادي لكن بالله عليك أيهما أولى بالاستثمار وأكثر ربحية، مجتمع متوسط دخل الفرد فيه لا يتجاوز ألفي دولار على ذمة الكذاب البنك الدولي للتخريب مثل المجتمع الفلسطيني أم المجتمع الإسرائيلي الذي يصل متوسط دخل الفرد فيه 62 ألف دولار، صمت بحزن فتابع قائلا، لا داعي للإجابة فأنت منهم دجاج مزارع، أنا أجيب لك، المسألة ليست اقتصادية يا أفندي، إنها باختصار سلام نتنياهو الاقتصادي!!!!

ذبت في جلدي من الخزي والعار ولم أنتبه إلا حين قال لي: احسب كمان وكمان يا أفندي، كم نسبة هذه الاستثمارت من جميع استثماراتنا في الضفة منذ قدوم السلطة!!! هنا غرقت في عرق الخجل مرة أخرى وأنا أقول مغادرا الجلسة على عجل أكثر من 40%، وهنا سمعته وهو يقول بصوت عال بلغهم يا باشا أننا كلنا أصبحنا قواريط لعلهم يتفكرون!!!

بدقة وبكلمات واضحة لا تحتمل التأويل، وقبل صياغة الموقف، كنت دائماً تتحاور مع الرفاق حوله حتى يصدر الموقف جماعياً، فمزجت بين السياسي والتنظيمي في آن، آمنت بالقيادة الجماعية وممارستها في كل المراحل.

والتنظيم في فكرك هو القارب الذي يوصل إلى الهدف، وليس هو الهدف، فكنت حريصاً على بناء القارب بأدوات غير قابلة للكسر لتحصينه وحمايته من الخارج كما من الداخل

فكنت القائد في التنظيم وفي السياسة...

ما ميزك فقي اللجنة التنفيذية عن باقي أعضائها هو دأبك على متابعة كافة الملفات باقتدار، والأهم أنك كنت حريصاً على المال العام الذي لمست أن جزءاً منه يتم إهداره فتصديت له، وكنت النموذج في سلوكك ولا غرابة أنه قيل:

أبو علي مصطفى نظيف اليد واللسان

وعندما اتخذ قرار بذهابك إلى الوطن، لم تتردد بل حزمت حقيبتك ومضيت وأنت تعرف مسبقاً ما ينتظرك..

ووقفت على بوابة الشهادة لتقول كلمتك المجلجلة:

(عدنا لنقاوم .. على المبادئ لا نساوم)

وفهم العدو تماماً ما قلته، بينما الآخرون اعتقدوا أنها كلمات حماسية لن يستطيع الواقع مجاراتها.

فكنت قائد الفكرة والكلمة معاً...

كنت تدرك ثمن الكلمة، ولم تتردد في قولها، لأنك آمنت بها، وحولتها إلى فعلٍ موازٍ لتأثيرها.

لكن العدو أعدّ عدته، فصب جام حقده عليك، أطلق صاروخين من الحقد والدمار ليلغي الكلمة وصاحبها، ففتحت بذلك أبواب جهنم عليه.

وقامت الانتفاضة الثانية

وقبل أن يجف التراب الذي احتضن أشلاءك، كان رفاقك قد ردوا الصاع صاعين، وأخالك أنك كنت بينهم تخطط لتصفية رأساً من رؤوس العدو

وكان لهم ما أرادوا

تم تصفية أحد غلاة الترانفسير ـــ رحبعام زئيفي ـــ

ما زال الرفاق عند وعدهم وعهدهم

صحيح أننا فقدناك قائداً ومعلماً

ولكن ..

أبو علي مصطفى .. مازال فارساً لم يترجل

يا فاسد وحد الدايم!!

رامي مهداوي

الفساد عليكم ورحمة الله وبركاته، احنا في موضة الفساد، كل يوم بطلعلنا خبر أو قضية فساد، فساد رجال السياسة، فساد رجال الاقتصاد، فساد خبز وماء وبطيخ ودواء... ما علينا، احنا شعب صامد ضد الفساد. بس لازم ما انضل ساكتين يا أهل البلد. أنا شايف الأمور راح تزداد في الأيام والأشهر القادمة بطريقة تسلسلية ولا أروع وراح يبين المستخبي في قصص احنا ما بنعرفها.

الأسباب اللي بتخليني مقتنع في انه الأمور راح تزداد في ظهور وانتشار ظاهرة كشف ملفات الفساد والمفسدين في البلد كثيرة وشايفها بوضوح:

واحد: الأزمة المالية اللي بتعاني منها السلطة السلطة الوطنية بتعطي الحق والمسؤولية الوطنية لأي موظف في السلطة أو ما بشتغل في السلطة بتفعيل نفسه انه لما يشوف خلل ما أو قضية ما أو صرف ما مشكوك فيه الأمر، يعلي صوته ويكشف الموضوع. يعني المواطن اللي صار يعطي طفله نص قنية حليب معاه الحق في الزئير بوجه أي شخص ويحكيله عفواً عفواً هاي المصاريف اللي حضرتك بتصرفها على حساب حليب وحفاظة طفلي.... وكل ما راح تشتد الأزمة أكثر راح المواطن يصير رقيب أكثر وعينه راح تكون مفتوحة.

اثنين: كتبت في الزمانات مقال ـــ قبل ما تنولد زاوية خرم ابره ـــ عنوانه» لا يصلح الفساد الا الفاسدين» عمل ضجه وعاصفة من النقد في طريقة طرحي، وهون بدي آكد هذه النظرية، بمعنى انه لما ينكشف ملف فساد أو فاسد راح تكشف شبكات وخطوط من الفساد، فبصير كل واحد يحكي اللهم نفسي، أحمي حالي أولاً وأخيراً، فبصير الفاسد يحارب أخوه بالرضاعه زميله الفاسد اللي مرتبط معاه عشان يطلع حمامة مكة ويوقع شريكه. بتولع حرب غير معلنه»حرب بارده» على بعض فبستخدموا أدواتهم ووسائلهم وزلمهم للقضاء على بعض.

وفي أغلب الأحيان حرب الاشاعات بتصير تشتغل، وبنصير نسمع فلان متجوز فلانه فلان مشتري أرض من الدولة بتراب المصاري، فلانه بتحب فلان. فحرب البقاء بتأدي الى صراع بينهم، على الله بلكي خلصنا منكم.

ثلاثه: القانون موجود والمحاكم موجودة والمتهمين موجودين بس اللي مش موجود التطبيق. لما الشعب يشوف ما في تطبيق فعلي وملموس على أرض الواقع، راح يصير يغلي على نار بركانيه يفور مره وحده ويكشف القضايا وطول ما في تطبيق راح يستخدم ادوات شعبية مثل الاعلام المجتمعي أو يكتب ويراسل أصحاب الشأن. بس عدم علاج الأمور بالتنفيذ راح يوتر البلد أكثر فأكثر ويصير المواطن ما يثق في أي هيئة أو جسم كان، المواطن بحب يشوف X من الناس محاكم محاكمة عادلة ويستحق اللي بصيرله لأنه فاسد وطالعه ريحته. نصيحة خرم ابره بأنه كل ما طولتم المحاسبه راح الأمور تتكهرب بزياده وهذا اشي مش منيح لمصلحة البلد وأولادها.

أربعه: الثورات العربية ووسائل التكنولوجيه الحديثة أعطت نفس قوي لشبابنا في اعادة الثقة بروح المواطنه بإنتزاع الحقوق والمسائلة والمراقبة لأي مسؤول كان، فمثلاً بنشوف على الفيس بوك مجموعات بدأت تحارب وتكشف الفساد اللي في البلد، وشغلهم ملموس أكثر بكثيييير من مؤسسات المجتمع المدني، وشبابنا ما بخاف تعلموا الدرس. في توثيق والكل بحكي في مسؤولية.

خمسه: كشف القناع عن بعض مؤسسات المجتمع المدني بتورطها بشكل مباشر أو غير مباشر في قضايا الفساد، بقصد هون اما بتكون شريكه في الفساد واما بتكون مجمل وداعم للفساد بطريقة حلوة غير مباشرة لمصالح خاصة أو مصالح دول والشاطر يفهم، صار شعبنا يفهمكم يا حلوين ويا حلوات فما اتبهروها كثير حبكم وقع على الطاحون.

اذا سمحتولي أطلب من الجميع التسلح بروح المسؤولية كل واحد في موقعه، أخطر سوسه هي الفساد اذا نخر في جذع وجذور المجتمع، راح يعاني المجتمع من آثار وأعراض بدت اتبين على الجسد الفلسطيني، عشان هيك خلينا واضحين بتمنى تناول هذا الموضوع من قبل المختصين بطريقة بعيدة عن الخيال والبهرجة الاعلامية والمساس في الكينونة الفلسطينية، وشغله ثانية على المثقفين وقادة الرأي التدخل بقوة دون التفرج على هذه الظاهرة وانتم مكتفين اديكم، خلص اشتغلوا شغله مفيدة للوطن.

بيني وبينكم ولا تجيبوا سيره، اذا حدى بده أكتب عنه في خرم ابره بطريقة حلوة أنا جاهز بس بدي منه خدمه، يعني يشتريلي أكمن سهم في البورصة، ويسفرني معاه أكمن سفره، واذا فيها مخاجله يشتريلي بيت في الطيرة، أو بكفي يناولني بالعملة الصعبه.... ولا في أحلى من عيشة البخششه.... بخشوشوني ... دلعوني.... أنا معاكم على طوووووووووول وراح أكتب مقالي الجاي عن أهمية الفساد في البلد.... بدكم رقم حسابي في البنك؟؟

الإفراج عن محمد كناعنة بشروط مقيدة

أفرجت محكمة الصلح في الناصرة منتصف ليل الجمعة 5/ 8 /2011 عن أمين عام حركة ابناء البلد محمد كناعنة بشروط مقيدة، منها الحبس المنزلي. كما تم تثبيت جهاز الكتروني لرصد وتقييد تحركه إلى حين الانتهاء من الإجراءات القانونية بحقه.

وكانت قد قدمت ضده لائحة اتهام في وقت سابق على خلفية مشاركته في أحداث يوم النكسة في الجولان العربي السوري المحتل، واتهامه بالاعتداء على رجل جمهور و«الإخلال بالنظام». وجاء في لائحة الإتهام «أن تسجيلات الفيديو أظهرت أن كناعنة قام بالإخلال بالنظام في ذكرى إحياء يوم النكسة في مجدل شمس، وقام بإلقاء الحجارة باتجاه قوات الأمن الإسرائيلية على الحدو السورية – الأسرائيلية».

Digitized by Birzeit University Library

ما لا تقوله المؤسسات الرسمية

وهم التنمية

عرض/زياد منى

رام الله: قليلة هي الكتب أو الدراسات النقدية التي تتعامل مع الوضع الاقتصادي وتجلياته الاجتماعية في مناطق سلطة الحكم الذاتي، فمعظم ما ينشر يصدر عن السلطة نفسها مما يسمح لها بوضع ما تريده من أرقام وإحصاءات، ومنع ما لا تريد نشره.

وهذا الكتاب يقول ما لا تقوله المؤسسات الرسمية، وينقل صورة مفجعة حقًا عن الأوضاع العامة هناك، مستخدما مفردات واضحة تتكلم بالصراحة المطلوبة عند التصدي للقضايا الوطنية.

وفي الوقت نفسه فإن البحاثة المشاركين فيه اعتمدوا على الأبحاث الأكاديمية المنشورة محليا وإقليميا ودوليا، لكن عبر نظرة نقدية.

يحمل البحث الذي شارك في كتابته خمسة متخصصين، عنوانا دالاً حيث يقود القارئ إلى توقع ما سيعثر عليه في صفحاته.

– الكتاب: وهم التنمية
– إعداد: آيلين كتاب، إياد الرياحي، فراس جابر، أميرة سلمى، حازم النملة
– عدد الصفحات: 032
– الناشر: مركز بيسان للبحوث والإنماء، رام الله، فلسطين المحتلة
– الطبعة: الأولى، أكتوبر 0102

المحتوى

كل جملة من صفحات الكتاب تنقل معلومة، مما يجعله برأينا مرجعا رئيسيا ليس فقط للنظر بنقدية إلى سياسات سلطة رام الله، بل يجعله أيضًا دليلاً للحاضر وكيفية رسم سياسات وطنية للمستقبل.

يضم الكتاب أربعة أقسام تتصدرها مقدمة في نقد التنمية كتبتها آيلين كتاب وقالت فيها اعتمادا على مؤشرات التنمية الصادرة عن الجهاز المركزي للإحصاء الفلسطيني، إن المجتمع الفلسطيني في الأراضي المحتلة عام 7691 استحال مجتمعا فقيرا، ليس فقط بسبب سياسات الاحتلال وإنما أيضا بسبب سياسات التنمية الوطنية «التي ركزت اقتصاديا على قطاعات خدماتية وغير إنتاجية لم تستطع تغيير بنية سوق العمل وتوسيعه أو تغيير البنية القائمة على أساس النوع الاجتماعي».

السعي لجني الأرباح واتباع السياسات التي تخدمها فقط

المال والسياسة

القسم الأول «المال والسياسة وتشكيل خطاب التنمية» كتبه إياد الرياحي في ثلاثة فصول تتصدرها مقدمة وتنتهي بخاتمة، وهو يقول فيه إن أخطر ما يواجه مشروع التنمية الوطني استمرار تعامل السلطة الفلسطينية معه عنوانا لاستجلاب التمويل الخارجي لا غير، وتعامل المانحين مع التنمية مدخلاً لتحقيق «السلام» لا العكس.

هذا قاد إلى إخفاق المستوى الرسمي الفلسطيني في بناء تنمية، وأخفق في الانتقال إلى سلطة بصلاحية سيادية واستقلال حقيقي.

انفتاح التحالف الاقتصادي بين القطاع الخاص الفلسطيني ونظيره الإسرائيلي عزز نفوذ الطرف الأخير في السوق الفلسطيني، مما حيد التنافس حتى الطبيعي بين الرأسماليين للفوز بنصيب أكبر من السوق ومنع تطور بنية إنتاجية فلسطينية منافسة.

الباحث يلقي باللوم هنا على سياسات السلطة الفلسطينية و«ارتباطات المستوى الرسمي الفلسطيني».

* مشاركة النخب الرأسمالية الفلسطينية المعولة في اتفاقية باريس يدل على توجهها والدور السلبي الذي تؤديه والمنطلِق من

« التنمية والخصخصة
كتب فراس جابر القسم الثاني

«خصخصة فلسطين» في ثلاثة فصول ومدخل يقول فيه إن المشروع الصهيوني مشروع سياسي اقتصادي عمل على تثبيت وجوده المادي في فلسطين عبر الاحتلال والاستيطان والاقتلاع..

لذا فإن القضية الفلسطينية ليست سياسية فقط، بل أيضا إنسانية واجتماعية وفنية وثقافية وتراثية.

وانتقد الكاتب بشدة ممارسات جزء كبير من القطاع الخاص الفلسطيني على صعيد العمل الوطني الذي ارتبط مع الاحتلال بعلاقات ومصالح بنيوية، مما يشرح تبعية قطاعات برجوازية للاحتلال وتماهيها معه.

وقد أسهب الكاتب في التعامل مع مختلف تجليات موضوع البحث من خلال التعامل نقديا مع ترجماته المادية مثل «مؤسسة التعاون» و«اتفاقية باريس» الاقتصادية والاقتصاد الفلسطيني «المزعوم» و«سوق الأوراق المالية» ومؤتمرات الاستثمار في بيت لحم التي رأى فيها تطويقا للاقتصاد الفلسطيني وليس استثماره، وغير ذلك.

وخلص إلى أن مشاركة النخب الرأسمالية الفلسطينية المعولة في «اتفاقية باريس» تدل على توجهها والدور السلبي الذي تؤديه، والمنطلِق من السعي لجني الأرباح واتباع السياسات التي تخدمها فقط.

منظمات «المجتمع المدني»

كتبت أميرة سلمى القسم الثالث «المنظمات غير الحكومية.. أداة للتنمية؟ مراجعة مفاهيمية» تتناول فيه الموضوع ضمن سياق «دور المجتمع المدني في التنمية»، حيث رأت في تطور هذه النزعة تراجعا للنضال من أجل التحرر الوطني واحتواء القوى التي تحمل إمكانيات أن تكون تقدمية قادرة على مقاومة الاحتلال.

وقد مارست الكاتبة قراءتها من خلال دراسة أدبيات مؤسسات غير حكومية فلسطينية تعمل في قطاعات الصحة والدفاع والحقوق والسياسات والدمقرطة والخدمات والتنموية وحقوق المرأة، لكن من دون نفي أن الاستنتاجات المأخوذة هنا تسري على تلك القطاعات فقط.

وتقول الكاتبة إنها تنظر إلى دور المنظمات الحكومية من منظور من يعمل على تغطية وجه الإمبريالية القبيح، موظفة القوى اليسارية نفسها التي كانت تعارض التوجهات الاستعمارية في دول الشمال مع أنها ترى نفسها بديلاً لها.

* المنظمات غير الحكومية تكون مشروع مقاومة وتنمية بالدرجة التي تكون بها هاتان سلعة مطلوبًا الترويج لها في السوق الذي تعمل فيه

* وترى أن هذه المنظمات غير الحكومية –لكونها حركات اجتماعية عالمية– لا تعمل خارج النظام العالمي، بل هي في أحسن الأحوال حركات إصلاحية تقوم على أسس ومبادئ ليبرالية وجدت أساسًا لخدمة النظام الرأسمالي العالمي والإبقاء عليه.

بكلمات أخرى فإن هذه المنظمات غير الحكومية أداة لترويج الاستعمار الجديد تحت لافتات مختلفة.

ومن خلال دراسة وثائق المؤتمرات الدولية وأدبيات تلك المنظمات، تصل الباحثة إلى نتيجة ملخصها أن المنظمات غير الحكومية تكون مشروع مقاومة وتنمية بالدرجة التي تكون بها هاتان سلعة مطلوباً الترويج لها في السوق الذي تعمل فيه.

وما دامت تلك السوق هي «الليبرالية الجديدة» فإن المنظمات الفلسطينية غير الحكومية هي الوكيل الموزع في فلسطين ووكيل لمموليها من الاحتكارات العالمية. وهذا يقودها إلى الحسم بأن تلك المنظمات لا يمكن أن تكون أداة تنمية.

«مجتمع المانحين»

كتب حازم النملة القسم الرابع «مجتمع المانحين وإعادة صياغة المحلي.. مراجعة نقدية في زمن (التنمية) الفلسطيني» منطلقًا من قول لميشيل فوكو «المهمة السياسية الحقيقية هي نقد عمل المؤسسات التي تبدو في الوقت نفسه محايدة ومستقلة، بطريقة تزيل النقاب عن العنف السياسي الذي مورس دوما عبرها».

ومن خلال دراسة ممارسات «مجتمع المانحين» وتقديم أمثلة عديدة تدعم منظور دراسته ونتائجها، كما فعل زملاؤه في الكتاب، وصل الباحث إلى استنتاجات منها أن تعامله مع الأنا الجمعية الفلسطينية أعاد تشكيل الواقع، أي المكان والزمان وإعادة مَوضَعة الفرد الفلسطيني ضمنه، وإخراجه من حالة الصراع التحرري إلى مرحلة ما بعد الصراع وبناء الدولة.

هذا يعني إعادة موضعة الفرد الفلسطيني ضمن الواقع الجديد ليصبح في حاجة إلى تغيير مفاهيمه حول نفسه، أفرادا وجماعات.

* جرى وضع خطاب الإصلاح والحكم الرشيد بمعزل عن أي سياق تنموي حقيقي للفلسطينيين الخاضعين لاحتلال عسكري منذ أكثر من ستين عاما، وبفعل القوة والمال استطاع المانحون أن يجعلوا منه الخطاب الرسمي للسلطة الفلسطينية

* ويوجه المؤلف نقدا لاذعا إلى النخب المثقفة الفلسطينية حيث يقبل استنتاجات من سبقه من البحاثة فيقول على لسان أحدهم «المثقفون الفلسطينيون الجدد كمبرادورات ثقافية تعمل في مجال الاستيراد والتصدير».

يصدرون نتائج استطلاعات الرأي والمعلومات الاجتماعية والاعتذارات الرسمية والذكريات الشخصية، إضافة إلى صورهم وأصواتهم في صفحات الجرائد والمحطات التلفزيونية الغربية.

وفي الوقت نفسه يستوردون أفكار صندوق النقد الدولي ومشاريع البنك الدولي والمبادرات الدولية والدعم المادي الغربي لمؤسساتهم، ويقفون في وجه أي محاولات أو ممارسات نقدية تخرج من الوطن أو الشتات، وهم مرتبطون طبقيا بالمصالح والسياسات الإمبريالية.

النتيجة: أخبار سيئة من فلسطين

لقد جرى وضع خطاب الإصلاح والحكم الرشيد بمعزل عن أي سياق تنموي حقيقي للفلسطينيين الخاضعين لاحتلال عسكري منذ أكثر من ستين عاما، وبفعل القوة والمال استطاع المانحون أن يجعلوا منه الخطاب الرسمي للسلطة الفلسطينية، وإن ارتأت الأخيرة القول إن تنفيذ برنامج الإصلاح والحكم الرشيد يضع الفلسطينيين على الطريق الذي يقود إلى الدولة المستقلة.

المهم هنا تأكيد أن البحاثة قدموا أمثلة حية تؤكد وتدعم استنتاجاتهم وقراءاتهم للواقع الفلسطيني في مناطق «السلطة الوطنية» ولم يقصروا أعمالهم على تقديم آراء نظرية، وهو ما يزيد من أهمية البحث.

هذا العمل مهم أيضا لطليعة «الربيع العربي» الحقيقية أو المنتحلة الصفة، المحاصر بين شتاء قارس البرودة وصيف جاف شديد الحرارة، لأنه يقدم نظرة ثاقبة لدور «مؤسسات المجتمع المدني» التي تتلقى الدعم من الغرب الاستعماري.

وبينما يكشف البحث الجماعي هذا عن أوهام التنمية في مناطق السلطة الفلسطينية، يمثل في الوقت ذاته دراسة لما سيتطور الأمر إليه في عالمنا العربي الذي يخوض الآن أشرس المعارك من أجل استقلال وطني حقيقي، إذا ما تم تجاهل الدور الأساسي للدول المانحة ومنظمات المجتمع المدني وما إلى ذلك.

هذا الكتاب مهم ويحوي معلومات تخص كل من يعمل في الشأن الوطني ليس فقط الفلسطيني وإنما العربي أيضا، وقراءته بتأن ووعي تساعد في كشف مدى الكارثة التي ألحقتها سلطة أوسلو بالمجتمع الفلسطيني في مناطق الاحتلال، وكيفية تجنب الوقوع في هذه الهاوية مستقبلاً.

Digitized by Birzeit University Library

الفلسطينيون في لبنان: متى يُعترف بإنسانيتهم؟

مرّ 63 عاماً على النكبة واللجوء وما زال الفلسطينيون في لبنان يعانون الأمرين جراء الظروف الصعبة التي يمرون بها في هذا البلد، فبعد اللجوء جرى ترحيب من المعنيين في ذلك الوقت، رئيس الجمهورية ووزير الخارجية ثم انقلب هذا الود إلى جفاء، وعزل في معسكرات (مخيمات) في ظل ظروف أمنية قاسية، ومعاملة سيئة قل نظيرها في الأساطير، إلى أن جاءت الثورة الفلسطينية المعاصرة وتحملت جزءاً من الأعباء، إلا إنها لم تغير شيئاً في قوانين البلد المضيف، على العكس من ذلك فقد أزيلت مخيمات من الوجود أبرزها مخيم النبطية بفعل الآلة الصهيونية، وتل الزعتر وجسر الباشا، وآخر ما حصل في مخيم نهر البارد.

سمير اللوباني

ورغم وجود المرجعية الفلسطينية الأساسية في لبنان في ذلك الوقت إلا أن الإجراءات اللبنانية بقيت على حالها، تحت حجج وذرائع شتى، مما أسهم في تقليص عدد الفلسطينيين، ورغبتهم في الهجرة هروباً من هذا الواقع البائس لأنه ممنوع على الفلسطيني أن يدخل إلى سلك الدولة بكل وظائفها، وممنوع من حق العمل، وممنوع من دخول نقابات المهن الحرة (أطباء، مهندسين، صيادلة، محاماة الخ..).

إلا أنه في الآونة الأخيرة وفي ظل حركة فلسطينية مطلبية في عهد حكومة الرئيس سعد الحريري جرى بعض الحراك حول حق العمل في مهن محدودة ضمن إجازة عمل، وإعطاء شيء بسيط من الضمان لم يلبِ الحد الأدنى من المتطلبات الفلسطينية، ولهذا وإزاء ما يجري فإن الوضع الفلسطيني أصبح اليوم أكثر من أي وقت مضى بحاجة إلى معالجة سريعة، ومطلوب من الحكومة (الميقاتية) والتي تضم في صفوفها كل الذين يعرفون تفاصيل المعاناة الفلسطينية أن يهبوا لإنصاف الفلسطينيين ضمن ما تنص عليه شرعة حقوق الإنسان الذي كان لبنان من أول داعميها وموافقاً عليها.

لهذا نطالب الرئيس ميقاتي وحكومته بالتالي:

دعم القضية الفلسطينية باعتبارها القضية المركزية للأمتين العربية والإسلامية وخصوصاً حق العودة.

حق العمل: إلغاء إجازة العمل لأنها تميز بين العامل الفلسطيني واللبناني وإنهاء الشروط القانونية المعقدة التي تمنع الفلسطيني من مزاولة المهن الحرة(أطباء، مهندسين، محامين الخ).

إقرار الحقوق الإنسانية والاجتماعية وتحديداً حق العمل والاستفادة من صندوق الضمان الاجتماعي.

حق التملك: أن يمنح الفلسطيني حق تملك مسكن وأن يورثه لأبنائه حسب المحاكم الشرعية اللبنانية.

إلغاء مبدأ المعاملة بالمثل، لأن الفلسطينيين ليس لهم دولة فلسطينية مستقلة.

حماية الوجود الفلسطيني ومعالجة أوضاع المخيمات، لأنه لا يجوز أن تبقى المخيمات فزاعة التوطين في ظل ظروف اجتماعية واقتصادية وأمنية بائسة وإلغاء فزاعة التهجير.

رفع مستوى التنسيق بين البلديات واللجان الشعبية لمعالجة الأوضاع الخاصة بكل تجمع فلسطيني.

إدخال مواد البناء لتسيير أمور الفلسطينيين ورفع الضيق السكني عنهم.

إنهاء الحالة العسكرية المضروبة حول المخيمات وخاصة نهر البارد ومخيمات الجنوب.

الإسراع في بث مذكرات التوقيف وإنهاء ملف المطلوبين عبر محاكمات عادلة.

تسهيل معاملات الفلسطيني في لبنان وخاصة عبر مديرية شؤون اللاجئين في لبنان ومعالجة مشكلة فاقدي الأوراق الثبوتية.

مخيم نهر البارد الذي شرد منه أربعين ألفاً حتى اللحظة لا يوجد تمويل سوى لـ ثلاث قطاعات من أصل ثمانية، وسكانه يتجرعون مرارة التهجير والبطالة منذ أكثر من أربع سنوات. كذلك تسهيل حياة سكانه بفتح علاقة ومصالحة مع الجوار اللبناني لإزالة أسباب الأزمة التي لم يكونوا سبباً فيها.

تطوير هيكلية وتعزيز دور لجنة الحوار اللبناني – الفلسطيني، بحيث تكون فاعلة وتمثل الطرفين ولا يقتصر دورها على وجود الطرف اللبناني فيها.

الحريات: يتطلع الفلسطينيون في لبنان للاستفادة من الفسحة الإعلامية المتاحة في لبنان لإيصال رأيهم إلى العالم.

كما ونطالب الدولة اللبنانية السماح بتأسيس جمعيات ومؤسسات أهلية ونقابية من أجل خدمة قضيتنا وتخفيف المعاناة عن شعبنا من أجل عودتنا إلى أرضنا وممتلكاتنا التي أخرجنا منها قسراً عام 1948.

وختاماً فإن الفلسطينيين في لبنان يتطلعون إلى علاقة فلسطينية – لبنانية قائمة على الاحترام المتبادل بين الطرفين ومتساوية في الحقوق والواجبات، لهذا نطالب بطي صفحة الماضي على ما تحمل من إساءة ومآس للطرفين مجددين العهد برفض التوطين والتهجير وبمساعدة الدولة اللبنانية أن يكونوا عنصر استقرار وبناء في الدولة ضمن ما يكفل حفظ كرامتهم وحقوقهم الإنسانية. فإن الفلسطينيون يعولون على هذه الحكومة أكثر من غيرها رغم فهمهم للمعادلة الداخلية واتخاذهم قراراً موحداً بعدم الدخول في الإشكالية الداخلية للبلد لأنهم يريدون من الطرفين أن يكونوا مع فلسطين وشعبها إلى حين العودة.

آملين ألا تحل المشاكل الداخلية في البلد على حساب الفلسطينيين وقضيتهم، فيضيعون في البازار السياسي القائم محلياً وإقليمياً ودولياً.

هذه هي تطلعاتنا للعلاقة نأمل أخذها بعين الاعتبار مقدرين ظروف البلد وحجم التناقضات السياسية فيه راجين للحكومة النهوض بالأعباء الموضوعة على أكتافها لأنها ثقيلة.

دور الشتات الفلسطيني في العملية الوطنية

بعد فقدان القيادة الفلسطينية للبوصلة، جرت عملية تغييب وتبهيت لدور الشتات في العملية الوطنية، وبات في حكم المؤكد أن هذه السياسة بقدر ما كانت شكلاً من أشكال الهروب للأمام، إلا أنها تركت جرحاً في الجسم الوطني يحتاج إلى مزيد من الجهد، والعمل، والنضال لترميمه، وإعادة الأمور إلى نصابها في الحالة الوطنية الفلسطينية. ويمكن قراءة هذا المشهد من خلال المعطيات التالية:

جـواد عقـل

أولاً: جرى نقل مركز ثقل الحركة الوطنية الفلسطينية من الخارج إلى الداخل وهذا يعكس تطورات حصلت في المنطقة والساحة الوطنية الفلسطينية ومراجعات إقليمية دفعت بالقيادة الفلسطينية لأخذ خيارات صعبة وقاسية في انعكاساتها على الأوضاع الفلسطينية وإن كانت هذه الخطوة قد جاءت كمحصلة لواقع موضوعي ملموس في غياب قراءة ودراسة وتمحيص من الجانب الفلسطيني للواقع ومعطياته وانعكاساته على مجمل الوضع الوطني، فالخطوة كانت ثمرة لخيار سياسي فيما اصطلح على تسميته عملية السلام، كلفت الساحة الوطنية في الداخل والشتات الكثير من التضحيات والآلام والتصدعات والاختلالات بحيث وجد الشتات نفسه مستبعداً من المشاركة في البحث عن مستقبل قضيته الوطنية. وقد اتخذ هذا الأمر أشكالاً وتصورات موغلة في تلهفها لرؤية الدولة الفلسطينية المستقلة، مما قاد أصحاب هذا الرأي لمحاولة التضحية، وإيجاد منافذ تمكنهم من إبداء الاستعداد للتنازل عن حق العودة، وفي أحسن الحالات الاستعداد للبحث عن حلول ممكنة مع عدو يتنكر بشكل علني لمسؤوليته التاريخية، والأخلاقية، والقانونية عن تشريد مئات الآلاف من شعبنا عام 48، وهم الآن أكثر من خمسة ملايين نسمة في الخارج، وانعكس هذا الأمر على رؤية القيادة الفلسطينية واستبعادها لأي دور يمكن أن يلعبه الشتات في الشأن الوطني. فجرى استبعاد كل جهد ممكن لاستمرار الحياة للمنظمات الشعبية، والهيئات، والدوائر التي لها علاقة بالشتات، وقد ألحق هذا الأمر أفدح الأضرار بقضيتنا، ومس بشكل مباشر أهلنا في الشتات وأوصلهم إلى حالة من اليأس والإحباط وخيبة الأمل التي لا مثيل لها، وقد فاقت في آثارها حجم النكبة التي حلت بشعبنا عام 1948.

طبعاً كان من الممكن نقل مركز الثورة للداخل والإبقاء على علاقة إيجابية مع أهلنا وشعبنا، واستمرار لعب الخارج لدوره كرديف كفاحي ونضالي للداخل وهذا للأسف لم يحصل.

ثانياً: جرت عملية تسييد السلطة على المنظمة وهذا بدوره ساهم في تبهيت دورها، وإضعاف مكانتها ليس على المستوى الوطني، بل على كل المستويات. واتخذ الأمر أشكالاً وصوراً متعددة، بدءاً من سحب الصلاحيات منها، مروراً بالتعجيل في نقل بعض الصلاحيات كالخارجية (السياسية) ودائرة شؤون العائدين، والصندوق القومي بحجة أن معطيات الأمر الواقع وتداعياته فرضت على القيادة مثل تلك الإجراءات، لكنها ارتبطت برؤية متسرعة لآفاق إقامة الدولة الفلسطينية المستقلة.

ثالثاً: تراجع وانحسار دور المؤسسات الوطنية وعلى رأسها اللجنة التنفيذية، والتي اقتصر دورها على استخدامها أداة في يد مسؤول السلطة لاستصدار قرارات، ومواقف تخدم الخط السياسي للقيادة الفلسطينية المتنفذة، ومواصلة حصر مهامها في هذا الأمر. وحينما حصل الانقسام جرى إضافة مهمة جديدة لها، وهي المشاركة في الصراع الداخلي الذي شكل طعنة كبرى للنضال الوطني وصورته. وقد استخدمت حركة فتح وما زالت منظمة التحرير الفلسطينية في معركتها الداخلية، وجرى كذلك تغييب كامل ومتعمد للمجلس الوطني، واستنكاف وعزوف عن تجديده بما يتلاءم ويتناسب مع المتغيرات على الأرض، وتهميش وتجميد المنظمات الجماهيرية والاتحادات، واقتصارها على الضفة والقطاع، مما زاد وساهم في عملية العزل والإقصاء التي تعرض لها أهلنا في الشتات، ولم تصدر أية مبادرات أو خطوات من القيادة الفلسطينية لتلمس مشكلات وهموم شعبنا في الشتات، سواءً كانت اجتماعية، أو اقتصادية، أو سياسية، مما فاقم من الشعور باغتراب الجماهير وابتعادها عن الهم الوطني.

رابعاً: ساهمت كامل هذه الإجراءات في عملية الإقصاء، والإبعاد المتعمد، والمقصود لمشاركة الشتات في العملية الوطنية بكافة أبعادها التنظيمية، والسياسية، والنضالية، وهذا الأمر أدى إلى غياب شبه كامل للمرجعية الوطنية الفلسطينية الجامعة، ومحاولات لا تحصى لأطراف وطنية لتشكيل مرجعيات سياسية لم تنجح بفعل الانشداد الوطني لفلسطيني الشتات لضرورة وجود مرجعية وطنية جامعة، مما ساهم في مزيد من الابتعاد الشعبي عن المشاركة في العملية الوطنية وهذا ما أدى إلى البحث عن أشكال جديدة وأنماط جديدة للدفاع عن حق العودة، باعتباره الحصن الأخير الذي لا يمكن للشتات التنازل عنه باعتباره حقاً وطنياً، وفردياً، وجماعياً، ولا يقبل الإنابة، أوالتفويض، لكن محصلة هذا الجهد تبعثرت أمام تسابق الفصائل على تشكيل كيانات خاصة، بها مما أفقد الحركة إمكانية التوحد، نظراً للاختلافات والتباينات التي عصفت بالساحة الوطنية بعد اتفاق أوسلو، والانقسام الفلسطيني، وهو ما أدى على الأرض إلى تشتيت الجهود والطاقات وإبقائها رهينة وحبيسة الحالة الوطنية الفلسطينية مما ساهم في إحداث مزيد من الافتراق والاغتراب للشتات وخاصة جيل الشباب، حيث لا توفر الأوضاع إمكانية حقيقية وملموسة لتنظيم هذه الطاقات لإتضاج وتفعيل الحالة الوطنية الفلسطينية.

خامساً: الانقسام الوطني شكل عاملاً إضافياً لمزيد من عمليات إقصاء الشتات، بحيث

Digitized by Birzeit University Library

أسهمت أجواء المعركة الداخلية والمزايدات التي لا نظير لها بشكل ملموس في مزيد من الابتعاد الشعبي عن المشاركة الفعلية والفاعلة في الشأن الوطني العام، لأن المعارك الداخلية ومهما أقنعنا أنفسنا بمشروعيتها إلا أنها كانت تفتقد إلى التصورات والأشكال القادرة على جعلها قادرة على تجاوز مفاعيل الانقسام لمصلحة التوحد والالتفاف الشعبي على خيارات وطنية واضحة وملموسة، وتستجيب للتطلعات المشروعة لأهلنا في الخارج حيث غاب عن المشهد الوطني في الداخل والشتات العمل الموحد والنشاطات الوطنية الجامعة في كافة مجالات الحياة الثقافية، والسياسية، والنضالية مما ضيع علينا فرصة ذهبية لمشاركة وطنية مسؤولة وجادة وقادرة على إعادة الأمور الوطنية إلى نصابها بحيث يشكل الفعل والنشاط الوطني الفلسطيني في الشتات رافعة لكل عوامل الضعف والقصور في الحالة الوطنية.

سادساً: غياب دور المؤسسات الوطنية والفصائلية التي تعنى بحياة المواطنين وهمومهم ومشكلاتهم، وإن وجد بعض هذه المؤسسات فإنها غير قادرة على استيعاب سوى جزء لا يذكر من الاحتياجات الأساسية للتجمعات الفلسطينية في الشتات وخاصة الشباب ومشاكلهم المتعلقة بغياب المؤسسات التعليمية وعدم قدرة غالبية الأسر الفلسطينية على الوفاء بالتزاماتها نحو أبنائها الراغبين في مواصلة دراستهم الجامعية والتي تتطلب تكاليف باهظة. فالحاجة ماسة إلى وجود جامعات وطنية فلسطينية في لبنان وسوريا ونوادٍ ثقافية، ومشاريع للتنمية والنهوض بدورِ المرأة والعديد من المنشآت الرياضية والثقافية والاجتماعية للشباب الفلسطيني. إن غياب المؤسسات يرجع إلى عوامل ذاتية تتحمل مسؤوليتها المنظمة والفصائل الوطنية الفلسطينية وموضوعية بسبب القوانين والإجراءات التي ترافق أية مبادرات لتلبية هذه الاحتياجات عن الطريق الرسمي أو مساهمات خاصة ونظراً لتعقيدات هذه الإجراءات وصعوباتها فمن المتعذر إيجاد مداخل وطرق للتخفيف من المعاناة التي يواجهها الشتات الفلسطيني في كافة المجالات.

الشتات في المرحلة الراهنة

النهوض الشبابي وقدرته المتناهية على التعاطي الإيجابي والفاعل مع التطورات التي شهدتها الساحة الوطنية الفلسطينية بعد اتفاق القاهرة لإنهاء الانقسام وإعادة دورة الحياة للوحدة الوطنية وما قدمته ثورات الربيع العربي من عوامل إضافية لحصول انتفاضة حقيقية في الفعل والحضور الشبابي لفلسطينيي الشتات وتجاوزهم لكل ثغرات ومشكلات العمل الوطني خلال المرحلة الماضية والذي عبر عن نفسه بروح ثورية جديدة ومتجددة لمفهوم حق العودة لدى الجيل الرابع من فلسطينيي الشتات حيث استطاع شباب الشتات بالتفاعل مع شباب فلسطين في كل مكان من استنباط أشكال جديدة للنضال الشبابي تمثلت في ثورة الزحف من بلدان الطوق إلى فلسطين كحق وطني مشروع لأبناء فلسطين لتجسيد حق العودة على الأرض ورفع رسالة سياسية إنسانية وأخلاقية للعالم عن ضرورة استيعاب توق الشباب الفلسطيني للعودة إلى وطنه وممتلكاته باعتبارها حقاً وطنياً وإنسانياً وأخلاقياً تتحمل الأسرة الدولية وكل الأحرار في العالم مسؤولية دعم ومساندة هذا الحق. وقد كان لتلك الخطوة آثارٌ إيجابية كبيرة على تطلعات الفلسطينيين لحقوقهم ودمر مفهوماً صهيونياً بإمكانية نسيان الأجيال القادمة لوطنهم وديارهم، وشكل هذا الزحف ضربة لركائز السياسة الأمنية الصهيونية، وهز بعنف مفاهيمها العنصرية الفاشية، وقرب للفلسطينيين إمكانية عودتهم إلى وطنهم لو اختاروا الأشكال والأساليب النضالية السلمية والعنفية القادرة على كشف حقيقة الكيان الصهيوني، وإخفاقه في تمرير مسرحية تهويد فلسطين، وطمس تاريخها، وتراثها، وحق شعبها المشروع في العودة، والعيش الحر الكريم على أرضه وثرى وطنه، ودق إسفيناً حقيقياً في كل التطلعات والأوهام الصهيونية في دفن حق العودة من خلال مسرحية ما اصطلح على تسميته بالسلام في المنطقة. وجاءت أحداث (51) أيار و (5) حزيران لتؤكد للقاصي والداني أن الحق الوطني والتاريخي لشعبنا لن يسقط بالتقادم ما دام في عروق شعبنا وشبابنا قطرة دم وإرادة، لا يمكن للطغاة والظالمين أن يغيروا حركة التاريخ وحقائقه الساطعة كالشمس والتي تؤكد عند مطلع كل صباح أن فلسطين للفلسطينيين.

العلاقة الوطنية بالشتات

الصورة السلبية لعلاقة الشتات بالحالة الوطنية عبر مؤسساتها وهيئاتها المختلفة تستدعي من القوى الوطنية الفلسطينية تحديدها على أسس وقواعد جديدة وسليمة تضمن مشاركة وطنية أوسع وأشمل في كافة النشاطات والفعاليات الوطنية ومشاركة ذات أبعاد إيجابية تضمن مشاركة في القرار والهيئات والمؤسسات الوطنية ولن يكون الأمر ممكناً في ظل غياب شبه كامل للانتخابات والمشاركة الديمقراطية في انتخابات المجلس الوطني والهيئات التمثيلية لأهلنا في الشتات من منظمات نقابية، وجماهيرية للعمال، والكتاب، والطلاب الشباب والمهندسين والأطباء والحقوقيين والمعلمين والمرأة تضمن مواصلة العمل على أساس وطني وعدم إخضاعها للحسابات الفئوية الضيقة، والرهانات السياسية الخاسرة والتي أفقدتنا كحركة وطنية مساهمات الشتات في الشأن الوطني العام بما لا يتناسب وإمكانياتهم، واقتصرت مساهماتهم على نشاطات حق العودة ومساهمات محدودة في عدد من القضايا الوطنية.

لذا لا بد من بذل كل جهد ممكن لضمان مشاركة حقيقية أوسع في الشأن الوطني العام بكافة جوانبه عبر إدماجهم في العملية الوطنية وضمان ذلك من خلال نزاهة وشفافية في التمثيل والمشاركة لكافة فئات أهلنا في الشتات وكافة الأطياف السياسية، والثقافية، والنقابية، والشعبية بما يتوافق مع الإمكانيات الحقيقية لأهلنا، ووضعها في خدمة المشروع الوطني بكافة أبعاده وجوانبه وأهدافه.

الإعلان عن الجدول الزمني للانتخابات المحلية 2011

رام الله – أعلنت لجنة الانتخابات المركزية الجدول الزمني للانتخابات المحلية المزمع إجراؤها في 295 هيئة محلية في المحافظات الشمالية.

ووفق الجدول الزمني المعلن تبدأ المرحلة الأولى وهي مرحلة التسجيل والنشر والاعتراض ومدتها خمسة أيام خلال الفترة من 13 – 17 الجاري، حيث ستتواجد طواقم اللجنة في جميع مقار الهيئات المحلية التي ستجري فيها الانتخابات، يليها فترة الترشح لمدة 10 أيام تبدأ في 9/6 ولغاية 9/15 المقبل. وتبدأ فترة الدعاية الانتخابية بتاريخ 10/8 وتنتهي في 2011/10/20 أي 48 ساعة قبل موعد الاقتراع الرسمي المحدد في 2011/10/22. وسيتم إعلان النتائج الأولية خلال 42 ساعة من إقفال مراكز الاقتراع.

الشعوب العربية: الثورات والزعماء

بمناورة علي عبد الله صالح بإعلان رغبته في البقاء في رعاية وكفالة السعودية وتكليف نائبه بإدارة شؤون البلاد والتحضير لانتخابات جديدة، يكون الستار قد أسدل عملياً، ولو جزئياً على حراك عربي استمر لخمسة شهور متتالية دفع فيها الشعب اليمنيّ ثمناً غالياً من دم أبنائه وبناته، ودفع اليمن لأجله ثمناً آخر من استقراره واقتصاده ورخاء أبنائه، ولكنه، أي الحراك، استطاع أن يضع لبنة جديدة في صرح (الحرية) العربية الذي بدأته تونس ومصر بثورتيهما، وبعدها اندفع المارد العربي ليطيح ببقية القيادات المستبدة.

لقد اختلفت أساليب الزعماء العرب في مواجهة شعوبهم، لكنهم اتفقوا على أن يظهروا وجههم البشع بعد إسقاط القناع عن القناع، وانكشاف الأرضية الحقيقية لسدى النظام العربي ولحمته، ألا وهي الاستبداد والارتهان للمصالح الغربية، والالتزام بتحقيق أهداف الدول الكبرى والصندوق الدولي ولو على حساب لقمة أبناء شعبهم الذي مزّقته الصراعات، وأنهكته وسائل القمع وفرّخ فيه الجوع وباض.

ففي تونس أدرك بن علي أن محاولاته لاستعادة السيطرة على الشارع التونسي غير ممكنة، خصوصاً وأن الجيش رفض المشاركة في حمايته والدفاع عنه، فآثر أن يحمل ما خفّ وزنه وغلا ثمنه ويهرب إلى السعودية، بينما رأى مبارك أنه ربما تغيّرت الأمور ورجع رئيساً فآثر البقاء في مصر، فأعلن «تخليه» عن الرئاسة، وذهب إلى منتجعاته في شرم الشيخ، ولم يكن يتوقّع أن ثورة 25 يناير لن تنسى ما فعله بشعبها منذ ثلاثين عاماً فرأيناه وأبناءه ومساعديه في قفص المحاكمة ليلقى جزاء ما اقترفت يداه.

العقيد القذافي كان مستعداً لمثل هذا اليوم، فحوّل ليبيا لترسانة أسلحة وشكّل جيشاً موازياً من المرتزقة، وما أن اندلعت الاحتجاجات حتى وضعها في خضمّ معركة عسكرية معلناً أنه: عليّ وعلى أعدائي، وما زال حتى اللحظة يهدّد شعبه ودول حلف النيتو التي وجدت فيه ضالتها للتدخل في شؤون البلاد، ومازال شعب ليبيا يدفع ثمناً باهظاً، ولا شكّ بأن الثمن لم يكتمل دفعه، فهناك ما ينتظر في جعبة العقيد.

في اليمن، بقبائله وتجمعاته، امتدّ لهيب الثورة للحقل اليمني، ومارس العقيد صالح ما استطاع ممارسته من أساليب قمعية ورفض مبادرات التصالح، ولم تهن عزيمته في ضرب شعبه حتى انفجرت فيه قنبلة كادت تودي بحياته وأيقن أن إرادة الثورة هي الأقوى، عندها أدرك أن مصيراً في قفص الاتهام ينتظره، فآثر البقاء في السعودية..

والسؤال هنا: هل يمكن للزعماء الآخرين الذي لم يأتهم الدور بعد، أن يتعظوا من سابقيهم، أم لابدّ من سفك مزيد من الدماء والتضحيات حتى يأخذ الربيع العربي مداه؟؟؟؟

Digitized by Birzeit University Library

مستقبل السودان بعد إعلان دولة الجنوب رسمياً وشعبياً!

محمد صوان

ولدت دولة جنوب السودان في التاسع من تموز 2011 بعد مخاض عسير استمر نحو تسع سنوات، أي منذ توقيع (اتفاق مشاكوس) عام 2002، إلى استفتاء حزيران 2011، ثم إعلان الاستقلال رسمياً في احتفال رسمي وشعبي، وإنهاء واحدة من أطول الحروب الأهلية التي استمرت نحو عشرين عاماً.

والدولة الجديدة تحمل ميراثاً مثقلاً بأعباء تنوء بها داخلياً، وبنية أساسية متخلفة وحياة اقتصادية، واجتماعية، وتربوية، وصحية بدائية، وتحديات عديدة مع الدولة الأم، والجيران، وعلى المستوى الإقليمي والدولي.. ناهيك عن عودة (أبيي) المتنازع عليها بين شمال وجنوب السودان، والغنية بالنفط إلى واجهة الإعلام والأحداث.

(أبيي) مثلث غني بالنفط، والغاز الطبيعي، والمعادن، والمياه، يتبع إدارياً لجنوب كردفان، ولكنه يمتد جغرافياً إلى داخل ولاية بحر الغزال في الجنوب، وسمي (مثلث أبيي) لأن المنطقة أشبه بمثلث يلامس ثلاث ولايات، حيث تحده من الناحية الشرقية (ولاية جنوب دارفور)، وتقع هذه المنطقة الملتهبة بصراعات السودان تحديداً في الجزء الجنوبي الغربي من ولاية غرب كردفان سابقاً، والمنطقة الجنوبية الغربية لولاية جنوب كردفان حالياً، في مساحة تقدر بـ (25 ألف كم2)، أي أن مساحتها مقارنة بمساحة جنوب السودان الذي يقدر بـ (700 ألف كم2) تقدر بـ (0.3 %)، ومساحتها من مجمل مساحة السودان ككل التي تقدر بـ (2.5 مليون كم2) هي (0.1 %).

خطر العودة إلى مربع الحرب

شهدت منطقة (أبيي) خاصة، والسودان عامة.. منذ زمن بعيد صراعات بين القبائل على أماكن (الري والمياه والرعي)، ولكن الصراع بدأ يأخذ طابعاً سياسياً، حينما سعت (الحركة الشعبية) بزعامة زعيمها الراحل جون قرنق لجذب أبناء المنطقة إلى التمرد ضمن حركته، فأصبحت المنطقة منطقة نزاع سياسي بعد أن كان قبلياً أو رعوياً، ولهذا تحول النزاع بين قبائل (الدينكا والمسيرية) لنزاع سياسي يحركه (الحركة الجنوبية والحكومة السودانية)، وعندما بدأت المفاوضات بين الحركة والحكومة، كانت أبيي من أشد مناطق الخلاف عنفاً وحساسية، الأمر الذي جعلها تنفرد ببروتوكول خاص عام 2002 ضمن بروتوكول ماشاكوس، ثم ضمن بنود اتفاقية نيفاشا عام 2005، حيث قضت الاتفاقية بمنح المنطقة حق الاستفتاء على تقرير مصير تبعيتها للشمال، أو الجنوب، خلال فترة زمنية حددها الاتفاق، وتشكلت لجنة لترسيم حدود المنطقة والنظر في وثائق الطرفين من أجل حسم موضوع تبعيتها.. غير أن (حزب المؤتمر الوطني) الحاكم في الشمال والحركة الشعبية الحاكمة في الجنوب فشلا في إجراء الاستفتاء في المنطقة. فبينما ترى (الحركة الشعبية) أن التصويت من حق قبائل الدينكا والسودانيين المقيمين في المنطقة، يرى (المؤتمر الوطني) أن من حق قبائل المسيرية التصويت في الاستفتاء أيضاً.

إلى هنا.. ودخل الصراع على (إقليم كردفان) منعطفاً جديداً بعد أن أعلن الطرفان استعدادهما (لمواصلة القتال)، بالتزامن مع رفض نائب رئيس اللجنة الشعبية آدم الحلو وقف العداء والمواجهات مع حكومة الشمال حتى يتم التوصل إلى اتفاق سياسي حول جميع القضايا المصيرية، المتمثلة في علمنة الدولة، والتحول الديمقراطي، والتداول السلمي للسلطة، بالإضافة إلى قضايا جنوب كردفان، والنيل الأزرق، ودارفور.. واستبعاد أمين الإعلام في حزب المؤتمر الوطني الحاكم في الشمال إبراهيم غندور الدخول في تفاوض مع من يحمل السلاح في جنوب كردفان، وممن بقي من (الجيش الشعبي)، باعتبار أن الأمر حسمه اتفاق السلام الشامل)، وقال: «إن وجود أي قوات غير القوات المسلحة بعد التاسع من تموز 2011 غير قانوني وغير شرعي».

الأسباب الكامنة وراء تصعيد الخرطوم هي: رغبة نظام عمر البشير في إثبات قدرته على إدارة مقاليد الأمور بقوة حتى بعد انسلاخ الجنوب عنه فعلياً، والتأكيد على أنه لن يفرط بـ (أبيي) إلا إذا جاءت نتيجة الاستفتاء، وفي غير صالح البقاء مع الشمال، وذلك لخشية النظام من قيام قبائل المسيرية المسلحة بإثارة القلاقل له في جنوب كردفان في حال عدم قيامه بالمحافظة على حقوقهم.. إضافة إلى توجيه رسالة غير مباشرة إلى حركات التمرد في دارفور بأن الحوار السياسي هو الآلية الوحيدة للحديث عن الحقوق.. ناهيك عن تحسين صورة النظام داخلياً في ظل استمرار الاحتجاجات الداخلية من قبل قوى المعارضة التي تطالبه بالرحيل.

أما أسباب التصعيد من قبل (الحركة الشعبية) هي: فرض سياسة الأمر الواقع بعد استقلال الجنوب، وقبل إجراء الاستفتاء المؤجل حول (أبيي).. إضافة إلى إثبات قدرتها على السيطرة على مناطق أخرى وتوسيع حدودها، بما يعود بالفائدة على أبناء الجنوب على الصعيدين الأمني والاقتصادي.. ناهيك عن انتماء معظم قادة الحركة إلى منطقة (أبيي) وهم يرغبون في السيطرة على هذه المنطقة التي ينحدرون منها.. وإحراج النظام في الشمال خاصة فيما يتعلق بالعلاقة مع المجتمع الدولي عامة، والولايات المتحدة خاصة.

ولمنع أزمة (أبيي) من إشعال صراعات أخرى، ثمة من ينصح واشنطن باستخدام (القوة الناعمة)، مثل إلغاء محادثات تخفيف عبء الديون، أو تعليق تطبيع العلاقات الدبلوماسية، إذا لم يسحب نظام البشير قواته بسرعة، ولكن تبقى قدرة واشنطن محدودة التأثير على نظام البشير، بعد أن خفضت علاقاتها الدبلوماسية والاقتصادية خلال الحرب الأهلية. ولهذا السبب يعتقد المحللون الإستراتيجيون أن الصين ستكون اللاعب الرئيس، بفضل نفوذها السياسي والاقتصادي في السودان، وفي الوقت نفسه تحاول الصين بناء علاقات جيدة مع القيادة الجنوبية في العاصمة جوبا.. فاحتلال (أبيي) يهدد نشاط شركات النفط

الصينية على امتداد الحدود وداخل جنوب السودان، وقد حثت الخارجية الصينية مؤخراً الجانبين على (الالتزام بالسلام) عن طريق تنفيذ أحكام اتفاق السلام. وهذا يمثل فرصة نادرة لواشنطن وبكين للعمل معاً في استصدار قرار واضح حول مصير (أبيي)، وذلك بإقناع الخرطوم على سحب قواتها، وإقامة إدارة مشتركة في (أبيي)، والتأكيد على أنه لن يكون هناك تنازلات جديدة على الاتفاقات التي تم التوصل إليها، إضافة إلى سحب ومغادرة جميع الجماعات المسلحة من (أبيي) والأراضي المحيطة بها، لتحل محلها (قوات دولية) مع التزام أكثر صرامة بحماية المدنيين.

تحديات واستحقاقات الدولة الجديدة

يعاني جنوب السودان من اختلالات هيكلية سواء في أوضاعه السكانية، أو الاقتصادية، أو البنية الأساسية.. ويحتاج إلى مسيرة مكثفة وطويلة قد تمتد لعقود قادمة على طريق التنمية الشاملة لمواجهة أوضاع بالغة الصعوبة أهمها: ارتفاع نسبة الفقر والفقراء بين السكان، وتقدر بعض الدراسات أن نحو 09 % من السكان يكسب الواحد منهم أقل من نصف دولار أمريكي يومياً.. ويمثل ذلك واحداً من أعلى معدلات الفقر في العالم.

بالإضافة إلى معدلات عالية للبطالة، وارتفاع معدلات الأمية، والجهل الثقافي، وانخفاض مستوى الرعاية الصحية والتربوية، مع انتشار أمراض المناطق المدارية، وتدني مستويات التغذية الأساسية.

وستعتمد دولة جنوب السودان الجديدة على نحو (90 %) في دخلها الوطني على النفط، إلى جانب الثروة الحيوانية والمنتجات الزراعية التقليدية منها.. إضافة إلى ما تتوقعه من مساعدات واستثمارات خارجية من عدة مصادر سواء من المنظمات الدولية والإقليمية، أم الولايات المتحدة الأمريكية والدول الأوروبية، والمجموعة العربية والآسيوية، ودول الجوار الإفريقية.. وإن كان معظم هذه الأطراف قد سبق أن نوه إلى أن إسهامه سيكون في الغالب الأعم في صورة مشاركة واستثمارات أكثر منها معونات ومساعدات.

ويتبنى المسؤولون في جنوب السودان نظرة واقعية إلى أوضاعهم، نظرة مفعمة بـ (التفاؤل) النابع من فرحتهم بالاستقلال وعزمهم على إثبات (هويتهم وانتمائهم إلى السودان) وجدارتهم ببناء دولتهم المستقلة مهما كانت التحديات.. ويرون أن ثمة مبالغات فيما يواجهونه من صعوبات منها:

أن الجنوب دولة بلا شواطئ.. فيقولون أنهم (ليسوا وحيدين) في ذلك فهناك عدة دول في هذا العالم مثلهم، ولم تعيقهم عن تطبيق برنامج (التنمية والاعتماد على الذات)، وأن لديهم منافذ مائية سواء ميناء بور سودان في الشمال، أم ميناء ممباسا في كينيا.

إن الخلافات بين القبائل قديمة لديهم، وكانت قبل الاستقلال، وهي موجودة في عدد من دول إفريقيا، وأن ما ينشب أحياناً من منازعات ليس أمراً جديداً ويتم التغلب عليه من خلال مجالس التحكيم والمصالحات القبلية.

إن تعقيد وتداخل المصالح بين شمال السودان وجنوبه يمكن التغلب عليها بروح التضامن والمشاركة، وتحويل قضايا ومناطق الخلاف إلى قضايا ومناطق استثمار ومصالح مشتركة.. وأن الجنوب في أشد الحاجة إلى الشمال، والعكس صحيح، خاصة في مراحل بناء الدولة ومؤسساتها التي تحتاج إلى كل أشكال التنسيق والتعاون، وليس الخلاف والمواجهة!..

الصفقة

الاسير ابراهيم حامد
عزل هشارون
نيسان 2009

من لوحات الأسير المحرر الفنان زهدي العدوي

هي الامال مثل موج البحر مهتزة ... بها خفض ، وفي حين على القمة
وتدنو تلمس الاقفال والحجرة ... وتنأى ثم تنأى خلف ماغيمه
كطير الرخ مجوزا بذي خوزة ... رأى شقا بأقفاص لها ثلمة
فزق الصوت من جوف بزقة ... ورف الجنح محمولا على النغمة
كفق السقي تبدو هذه الصفقة ... بدت حينا كرجي الماء لا وسمه
وحينا افصدت البانها الزبدة ... وكادت فكت الاصفاد والظلمه
يصحو المرء من حلم على عتبة ... تعيد الجزر بعد المد ملتما
وقالوا: ان في المنشار ذا عقدة ... فكنت رابع والاسماء في الرزمة
وقالوا: احمرا قاني ضعوا خطا ... فعدونا كاسماء بلا عصمه
فقلت الله حسبي مانح الرحمة ... به لوذي، فابت راضي الذمة
وراهنا ببعد الله بالعترة اولو ... التعنيد والاصرار والهمة
فبارك ربنا المسعى وبالخطوة ... اقر العين زد منها ومن نعمة
على خطوين من قفل وكلباشة ... دنا وعد مع الشمس مع النجمة
فكم كادت دنت في هذه المرة ... تباشير بفجر يهتك العتمة
فان هبت لها ريح بذي ليلة ... صحا حلم بيقظ او بذي نومة

Digitized by Birzeit University Library

المحاصصة الطائفية والارتهان الخارجي

يوماً بعد يوم تتعمق وتزداد أزمة حكومة دمى الطوائف العراقية في ظل التجاذبات السياسية بين مجمل الأحزاب والقوى، والكتل السياسية المشاركة فيما يسمى العملية السياسية، منذرة بانفجار، وانهيار سياسي يطال هذه العملية السياسية برمتها، وأهم ما تواجهه الحكومة الموقف من انسحاب القوات الأمريكية من العراق، أو التمديد لها بعد انتهاء فترة وجودها في العراق نهاية هذا العام، إضافة إلى قضية الأقاليم التي تطالب بها بعض المحافظات الجنوبية التي تشعر بالتهميش، والغبن، والإقصاء، وسيطرة الحزب الواحد الحاكم، حزب الدعوة الذي يتزعمه نوري المالكي، واستشراء الفساد المالي والإداري، وفقدان الأمن والاستقرار، والخدمات الأساسية، وشعور بعض الأحزاب والقوى المشاركة في السلطة بالتهميش والإبعاد، مما يظهر بأن الحكومة تفتقد التوازن، الذي يؤكده هبوط أدائها السياسي، وحالة الإرباك في العلاقة مع إيران، مما ينذر بالدعوة لانتخابات مبكرة.

د. محمد أبو ناموس

فالولايات المتحدة الأمريكية عندما احتلت العراق لم تكتف بإسقاط نظام الحكم فيها واستبداله بأدواتها، بل قامت بتفكيك الدولة العراقية وإنهائها، فقد تم حل الجيش، وقوات الأمن، وسمحت وشاركت في نهب الإدارات الحكومية وحرقها بهدف إعادة تشكيلها حسب مقتضيات مصالحها في المنطقة.

وقد ثبت فيما بعد أن كل ما قيل وسيق من الحجج من قبل الإدارة الأمريكية عن امتلاك العراق لأسلحة الدمار الشامل وقد ثبت أنها محض كذب وافتراء للرئيس الأمريكي، ووزير خارجيته، وكل إدارته الصهيونية. لكن الحقيقة واضحة وضوح الشمس في رابعة النهار، لأن منطقة الخليج تختزن أكثر من نصف احتياط العالم من البترول والغاز وصادراته حوالي ثلثي استهلاك العالم. ويضاف إلى ذلك أهمية مضيق هرمز وباب المندب اللذين يعتبران صمام الأمان لتدفق النفط للغرب.

بناء على ما تقدم تأتي الأهمية للهيمنة على العراق كونه يشكل نقطة الانطلاق المركزية في الإستراتيجية الأمريكية في الشرق الأوسط، ومواجهة حالات عدم الاستقرار في منطقة الخليج.

الاتفاقية الأمنية الأمريكية العراقية

نصت الاتفاقية الأمنية الموقعة بين الحكومة العراقية والولايات المتحدة في نهاية تشرين الثاني عام 2008 على وجوب انسحاب جميع القوات الأمريكية من جميع الأراضي، والمياه، والأجواء العراقية، في موعد لا يتعدى 31

نوري المالكي

كانون الأول من العام الحالي (2011)م، وقد انسحبت القوات الأمريكية المقاتلة بموجب هذه الاتفاقية من المدن والقرى والقصبات العراقية في 30 حزيران من العام 2009.

يقول رئيس النظام العراقي حول بقاء القوات الأمريكية في العراق، إن تمديد الاتفاق غير ممكن لأنه يحتاج إلى موافقة ثلثي البرلمان، وهذا لا يمكن الحصول عليه، ويضيف إن الأمريكان لا يريدون بقاء كل قواتهم، والمقترح هو أن يبقى عدد من هذه القوات للتدريب، وهناك تقارير من القيادات العسكرية العراقية تقول إنهم لا يستطيعون حماية الجو، والبحر، والحدود العراقية بعد انسحاب القوات الأمريكية وأنهم يستطيعون فقط حماية الأمن الداخلي.

الموقف من انسحاب القوات الأمريكية

لقد أجبرت الولايات المتحدة جراء تصاعد أعمال المقاومة ضد وجودها العسكري على عقد اتفاقية أمنية لجدولة انسحاب قواتها من العراق، وتعمل جاهدة على إقناع الحكومة العراقية بقبول تمديد وجود قواتها لما بعد انتهاء فترة الاتفاقية، بحجج أهمها: أن القوات العسكرية العراقية من جيش وشرطة غير مؤهلة لتحمل مسؤولية الملف الأمني، ونظراً لدور القاعدة، ووجود حزب البعث، لهذا فهناك حاجة عراقية ماسة لوجود القوات الأمريكية كي تحمي النظام السياسي من خطر ما يحدث في الوطن العربي.

مما تقدم نستطيع القول أن ليس هناك إجماعاً سياسياً حول انسحاب القوات الأمريكية والتمديد لها، لأن هناك مساومات جارية حول قضايا تمس الأمن القومي العراقي، فلا تزال القوى السياسية العراقية المشاركة فيما يسمى بالعملية السياسية منقسمة حول استحقاق الانسحاب الأمريكي.

يقول جلال الطالباني – رئيس النظام العراقي: لقد ترأست اجتماعين للقيادات السياسية، حضرتهما جميع القوى السياسية الفاعلة، بعض وجهات النظر كانت واضحة وبعضها غير واضح. اتجاه التيار الصدري وله (40) نائباً في البرلمان رفض رفضاً قاطعاً وجود القوات الأمريكية، أما القيادة الكردستانية فهي ترى بضرورة بقاء القوات الأمريكية – بعدد محدود على الأقل – في المناطق المتنازع عليها، أما البقية فما زالوا يدرسون الموضوع.

المتحدث باسم الحكومة العراقية علي الدباغ، قال بأنه لا يرى فرصة لبقاء قوات مقاتلة في العراق مع نهاية العام الحالي، وأن أي عمل عسكري تنفرد به القوات الأمريكية مخالفاً للاتفاقية الأمنية. أما مقتدى الصدر – زعيم التيار الصدري فقد أعلن رفضه لبقاء قوات الاحتلال الأمريكي في العراق بعد نهاية عام 2011 وطالب بانسحابها وفقاً للاتفاقية الأمنية، وإن كان عاد وخفف من معارضته.

جواد البزوني – عضو دولة القانون، ونائب عن التحالف الوطني، أوضح بأن التحالف الوطني اجتمع وحسم موقفه. وقال: إن الاتفاقية الأمنية وجميع مكونات التحالف الوطني أبدت رغبتها بعدم تمديد الاتفاقية الأمنية، وأن التمديد

سيُدخل العراق في دوامة عنف، لأن عدداً من القوى السياسية ستمارس المقاومة ضد وجود القوات الأمريكية.

زياد الذرب – النائب عن ائتلاف العراقية: إن القائمة العراقية ليست بقياداتها دائماً وإنما بالأغلبية المطلقة من نوابها مقتنعين بضرورة إنهاء الوجود الأمريكي في العراق نهاية هذا العام.

سامي فوزي – النائب عن ائتلاف الكتل الكردستانية، توقع تمديد الاتفاقية الأمنية بسبب حاجة العراق إلى بقائهم، وأن التمديد سيكون لمدة محددة وفي أماكن معينة من العراق بصلاحيات محددة. وأضاف بأنه لا توجد كتلة سياسية أبدت اعتراضها على بقاء القوات الأمريكية عدا التيار الصدري.

قال النائب عدنان الشحماني من ائتلاف القانون أن مقتدى الصدر قد وضع نفسه أمام خيار صعب، وأضاف أن التنفيذ صعب لأن هذا معناه وقوع حرب داخلية وعدم التنفيذ سيكون صعباً لأن معناه أنه وعد ولم ينفذ وعده.

كما أن وزير الخارجية هوشيار زيباري ألمح في مقابلة لصحيفة الشرق الأوسط إلى احتمال لجوء السلطات العراقية إلى تفاهمات ثنائية تضفي الشرعية على الوجود الأمريكي في العراق بعد عام 2011.

وأضاف إذا كانت هناك حاجة إلى مستشارين ومدربين أمريكيين عسكريين لإدارة الأسلحة العراقية وللمساعدة في التدريب والتأهيل، فإنها سوف تخضع لتفاهمات ثنائية بين البلدين.

رئيس الوزراء نوري المالكي قال لرئيس مجلس النواب الأمريكي جون بينر خلال استقباله في بغداد إن العراق يتطلع إلى تعاون مستقبلي مع الولايات المتحدة في مجال التسليح والتدريب.

كثافة الاستشهادات مردها أن المسؤولين العراقيين يتجنبون الحديث عن هذا الموضوع بصراحة وجرأة، لذا فقد صدر الكثير من التسريبات التي تشير إلى أن تفاهمات قد تضفي الشرعية على نوع الوجود الأمريكي وخاصة في مجال التدريب للقوات العراقية.

وثيقة الأمن القومي الأمريكي 2006

قال رئيس الولايات المتحدة السابق جورج بوش الابن في خطاب إعلانه الوثيقة، إننا نسعى إلى تشكيل العالم وليس أن يشكلنا هو، وأن نؤثر في الأحداث من أجل الأفضل بدلاً من أن نكون تحت رحمتها.

وقد استعرضت الوثيقة كل دول العالم وقدمت النصائح والإنذارات لكل من يقف في وجه المصالح الأمريكية.

وأعلنت الحرب على الإرهاب، حيث تقول الوثيقة: «لا نستبعد استخدام القوة قبل أن تحدث الهجمات ضدنا، حتى في حالة عدم اليقين بشأن توقيت ومكان هجوم العدو» وخصت الوثيقة إيران، وكانت الاتهامات الموجهة لها نفس الاتهامات التي كانت توجه إلى العراق . تقول الوثيقة: «إن إيران تدعم الإرهاب وتهدد الكيان الصهيوني، وتعمل على تدمير السلام في الشرق الأوسط» والأهم هو أن إيران «لم تمنح الديمقراطية لشعبها»، كما تم توجيه اتهامات لما أسمته بالأنظمة الديكتاتورية. وأضافت الوثيقة محذرة بأن «العالم سيكون أفضل حالاً إذا أدرك الطغاة أنهم بامتلاك أسلحة دمار شامل سيتحملون عواقب ذلك».

إن اكتشاف النفط وإنتاجه في منطقة الخليج أقل تكلفة من أي منطقة في العالم، إضافة إلى جودته العالية ولا يوجد بديل مناسب عنه، وهذا ما أعطى للعراق أفضلية في السياسة والتوجه الإمبريالي الأمريكي، لأن النفط العراقي يحتل المركز الثاني من حيث الاحتياطي العالمي بعد السعودية، إضافة إلى جودته العالية. وهناك احتمالات كبيرة تقول باكتشاف أماكن جديدة للنفط وقلة تكلفته الإنتاجية، كما أن التوقعات تشير بأن نفط العراق آخر نفط سوف ينضب في العالم.

ما تقدم يقود للقول بأن الولايات المتحدة بسيطرتها على العراق تستطيع التحكم بأسعار النفط والتقليل من الاعتماد على النفط السعودي والتأثير في مصالح أي قوة تطمح في لعب دور في النظام العالمي الجديد الذي تقوده الولايات المتحدة ويعزز ذلك الدور. كل ذلك يعزز القول بأن الولايات المتحدة باحتلالها العراق كانت مدفوعة بالسيطرة على منابع النفط وحماية وخدمة الكيان الصهيوني، وليس الدفاع عن الشعب العراقي وإضفاء الحرية والديمقراطية.

إن ما تنادي به الإمبريالية الأمريكية من ديمقراطية وحماية حقوق الإنسان والتمسك بالشرعية الدولية، يشكل حال العراق بواقعه المزري نموذجاً حياً للعالم أجمع وللوطن العربي يكذب ما تدعيه أمريكا وما تنادي به، وهو ما دفع الكثير من المثقفين والسياسيين تحديداً ممن كانوا ينادون بالحرية والديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتغيير والتجديد أن يعيدوا حساباتهم ويتدارسوا أوضاع أقطارهم بشكل صحيح ودقيق، فالعراق يقف اليوم على حافة الهاوية والانهيار، فالشقاق، والنفاق، والفساد المالي، والإداري، والتبعية للخارج عمّ ونخر حياة الكتل السياسية في العراق المشاركة فيما يسمى بالعملية السياسية في العراق.

لقد طغت وسيطرت الطائفية، ويظهر على السطح التهديد بتمزيق العراق والمس بوحدته وسيادته وسلامة أراضيه ، فالحكومة التي تقود العراق اليوم هي حكومة محاصصة طائفية وبتبعية خارجية تقرر مصير العراق وشعبه وتنهب ثرواته، فالسياسيون العراقيون يتلطون خلف طوائفهم أو قومياتهم ومذاهبهم. فهذه لعنة الاعتماد على الخارج وطلب العون والمساندة من أعداء الشعوب والطامعين في ثروات الأمة الذين يعملون للسيطرة على مقدراتها بحجة تحقيق الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والتخلص من الديكتاتوريات والمستبدين.

إن الديمقراطية، والحرية، وتداول السلطة، وحرية الصحافة، واستقلال القضاء، ومحاربة الفساد لن يتحقق في ظل المحاصصات الطائفية، وعلى يدي القوة الغازية.

إن طبيعة وتركيبة هذه الكيانات السياسية في العراق وفي المقدمة نوري المالكي – رئيس حكومة الاحتلال لن يخرج عن تحقيق مصالحه الشخصية أولاً والحزبية ثانياً، أو ما يتساوق مع أهداف الولايات المتحدة، وهو يراهن على عدم قدرة منافسيه في تشكيل تحالف يؤدي لإسقاط حكومته، والدعوة إلى انتخابات مبكرة، لأنه يعمل بكل ما يملك من قوة وقدرة على إعطاء الرِّشا لضمان موافقة الأغلبية على التمديد للقوات الأمريكية.

فالعراق لن يستعيد عافيته ودوره المناط به، بكل ما يملك من ثروات طبيعية وموقع إستراتيجي في منطقة الخليج العربي إلا بإلغاء الطائفية، والزج بكل ما خلفه الاحتلال وإلى مزبلة التاريخ. فتعود العراق إلى الصف العربي بشعبها المقاوم، وهي بعيدة كل البعد عن العمل بأجندة الاحتلال.. عراق ذو سيادة مستقلة، يحافظ على وحدته.. عراقٌ يعمل بجدية على احترام الإنسان وآدميته، وتحقيق طموحاته في الحرية والانعتاق من كل قيد يعيق تطوره نحو غد أفضل.

Digitized by Birzeit University Library

لا للتخوين ، لا للتمويل

محمد سيف الدولة

(حتى لو كانت امريكا هى التى قامت بالثورة المصرية ، فشكرا لها لأنها خلصتنا من مبارك)
هذا ما قاله أحد اباطرة منظمات المجتمع المدنى ، فى سياق مناظرة حول التمويل الاجنبى على قناة الجزيرة مباشر يوم الاثنين 25 يوليو .
وكأنه يريد فى ظل حالة الاجماع الوطنى على رفض خطاب التخوين ، يريد فى الزحمة ان يمرر مشروعية التمويل ، مدعيا حسن نواياه ومقاصده .

* * *

وهو خلط واضح للأوراق يجب ان ننتبه اليه ونحذر منه ، بالاضافة الى انه كلام خاطىء ومغرض وخطير لعدة أسباب :
دعونا نؤكد أولا على وطنية ثورتنا 100 % : وطنية الاهداف ، وطنية القوى ، وطنية الانتصار ، وطنية الأدوات والوسائل ، فى مواجهة نظام غير وطنى تابع للولايات المتحدة الأمريكية .
ولقد اعترف الأمريكان أنفسهم بان الثورة تمت رغما عنهم وضد رغباتهم ، وهو ما يفسر ما يبذلونه الآن من جهود هائلة لمحاولة التدخل لاحتواء آثار الثورة والتاثير فى مساراتها و تعديل اختياراتها .

* * *

ثانيا . يجب الانتباه الى أن رفض القوى الوطنية للاتهامات الجزافية والتخوين لأي من أطرافها، هو فى حقيقته رفضا قاطعا لمبدأ التمويل الاجنبى والارتباط بالغرب ، لما فيه من معان مخلة بالشرف الوطنى .
فان أخطأ الرويني أو حتى المجلس العسكرى كله فى حق كفاية و 6 ابريل أو غيرهما ، فلنعاتبه و نحاسبه ونقاضيه ان أردنا .
ولكن يظل التمويل الاجنبي فتنة وخطيئة وطنية كبرى .
وان اتهم كائنا من كان أى قوى سياسية ظلما ، فلندعمها و نأخذ لها حقها ، ولكن يظل التمويل الاجنبى رغم ذلك عدوانا على السيادة الوطنية واختراقا لها .
فلا يجب أن تزر وازرة وزر أخرى

* * *

ثالثا . نعلم جميعا أن الجهات المانحة جهات معادية بالضرورة حيث انها هى التى قامت بتصنيع نظام مبارك وحمايته طوال عقود طويلة ، وبالتالى يستحيل ان ترعى الثورة عليه ، بل ستعمل بكل قواها على رعاية الثورة المضادة .

* * *

رابعا . كما أن أهداف المانحين ليست سرا ، فهم يعلنوها فى كل اجتماعاتهم ووثائقهم ويحددونها فى أربعة أهداف رئيسية هى :

- تأسيس تيار سياسي قوي يتبنى استمرار السلام مع إسرائيل والتحالف مع الولايات المتحدة ، ويمثل امتداد سياسيا لنظام مبارك و بديلا و منافسا قويا للتيارات الوطنية التى تهدد المصالح الأمريكية الصهيونية.
- مع العمل على إضعاف هذه التيارات وحصارها وعزلها .
- التركيز على الإصلاح السياسي الديمقراطي الداخلي فقط، مع تهميش القضايا الاجتماعية و الوطنية والعربية .
- دعم اقتصاد السوق و القطاع الخاص المصري على حساب القطاع العام لتمكينه من السيطرة على النظام الاقتصادي والسياسي بصفته الشريك القوى والمطيع للمصالح الغربية فى مصر .

* * *

خامسا . ان التمويل الاجنبي يشق الصف ، بما يثيره من فتنة وشك والتباس داخل الاوساط السياسية ، فيختلط الحابل بالنابل . ويطول الضرر كثير من الشرفاء ، وتتعثر عشرات الأفكار والدعوات الايجابية بسبب ضعف الثقة فى خلفياتها ومصادرها .
كما أن التجربة فى مصر أثبتت كيف استطاعت الأموال الغربية والعربية على امتداد العقود الأخيرة من أن تفسد كثيرا من الشخصيات السياسية ، وتخرب عديد من الاحزاب والتنظيمات ، وتشق كثير من القوى الوطنية، وكيف تم تفريغ تيارات سياسية بكاملها من خيرة عناصرها لصالح منظمات التمويل المدني والسياسي .
وأخشى ان يمتد هذا الافساد الى البعض من شبابنا بعد الثورة ، ان لم نعلن منذ البداية موقفا وطنيا موحدا وقاطعا رافضا للتمويل الاجنبي بكافة صوره واشكاله ومصادره .

* * *

سادسا . أن التمويل الأجنبي يضرب القوى الوطنية الحقيقية ويحاصرها ، من حيث انه يبرز الى الأضواء وبسرعة البرق أيدا العناصر التى تتمكن بفلوس الخواجات من تأسيس الجمعيات والاحزاب واستئجار المقار وعقد المؤتمرات وتمويل الأبحاث والباحثين والدكاترة وتكوين شبكات علاقات عامة سياسية واعلامية واسعة ، وتكون أكثر قدرة بما لديها من امكانيات على جذب اعداد كبيرة من الشباب رغم ضحالة خطابها السياسي والفكري .
فيسحب بذلك البساط من الشخصيات والقوى الوطنية الحقيقية الأكثر جذرية ، التى ترفض التمويل وتحاربه وتعتمد على امكانياتها الذاتية المحدودة ، والتى قد تناضل لسنوات طويلة قبل ان تتمكن من استئجار مقر صغير منزو تمارس فيه نشاطها .
ان كثير من الشباب الثورى ((الأصيل)) يشكو مر الشكوى من اختراق الثورة من قبل عدد من الوجوه الجديدة الوافدة مجهولة المصدر من منتجات منظمات التمويل المدني والسياسي.

* * *

سابعا . كما أن التمويل الأجنبي مرفوض حتى لو سمحت به الدولة ، لأنها عندئذ تكون دولة تابعة متواطئة أو مغلوبة على أمرها تفرط فى سيادتها الوطنية ، تماما كما فعل النظام الساقط الذى ادخل الامريكان مصر وسلمهم مقاليدها .

* * *

بل ان القروض والمعونات التى تأخذها الدولة ذاتها مرفوضة وباطلة فى معظم الأحوال :
فلقد تمكن الأمريكان بمعونتهم وقروضهم على امتداد 36 سنة من اعادة صياغة مصر على مقاس المصالح الامريكية الصهيونية .
ناهيك على ما تؤدي اليه هذه المعونات من تقييد ارادة الحكومات فى منع التمويل للمنظمات الاهلية والسياسية ، على (قاعدة اطعم الفم ، تستحي العين)

* * *

ومع ذلك فان اقراض الدول الحرة المستقلة لا يستوى مع تمويل المنظمات الاهلية والسياسة، فالدولة مؤسسة منضبطة تحكمها لوائح وقوانين وجهات رقابية وامنية وراى عام وبرلمان وجهاز مركزى للمحاسبات واقرارات ذمم مالية.. الخ
أما الآخرون فيتعاملون فى الخفاء بلا رابط أو ضابط ، ولذا فكل شيئا ممكن ومباح
وان اشركوا أحدا فإنهم كانوا يشركون معهم أجهزة الأمن بالتقارير والمعلومات وبعض الخدمات ، حتى تسمح لهم بالاستمرار فى تلقى الأموال واكتناز الثروات ، فتحول بعضهم الى مرشدين من الناحية العملية .
ولكن عندما كان الأمر يصل الى الراى العام الشعبى فإنهم كانوا يحرصون دائما على اخفاء مصادرهم وحساباتهم وارباحهم الهائلة لأنهم يعلمون جيدا انه سيتم لفظهم وفضحهم.
وخير شاهد على ذلك أنه لم تجرؤ منظمة واحدة من الـ 600 اللاتى ذكرتهن السفيرة الأمريكية عن الاعلان عن نفسها .
كما أن حكاية صربيا لم تطرح على الملأ أبدا الا اضطرارا خلال الايام القليلة الماضية .

* * *

الخلاصة أن التمويل الأجنبى مرفوض قبل الثورة وبعدها ، مرفوض سواء كان الدستور اولا أم الانتخابات اولا، و سواء كانت الدولة مدنية او اسلامية، وسواء حكمنا الاسلاميون أم الليبراليون ، وسواء كنت أنا من أخذ التمويل أو 6 ابريل او 7 مايو ، وهو مرفوض أيا كانت مصادره : غربية أو عربية أو عجمية أو . . .
والصلابة الوطنية فى رفض التمويل الأجنبى لا يجب أن تتراجع أو تهتز كرد فعل على اخطاء متحدث عسكرى أو غير عسكرى .
فلنرفض التخوين وندينه بكافة الوسائل، ولكن مع تمسكنا الصارم برفض التمويل .

* * *

و أخيرا أنا لست معنيا فى هذا المقال بالملاحقة القضائية لمنظمات التمويل الاجنبى
وانما أردت أن اخاطب شبابنا وابنائنا الكرام، من أجل التأكيد على احد الثوابت الوطنية الهامة الموروثة والمقدسة. وهى عدم التعاون مع العدو وحلفاءه، ورفض أمواله وعزل كل المنظمات والجهات والشخصيات المموّلة منه وتجريسها ومقاطعتها ، وتحرير العمل الوطنى والسياسى من أى شبهات للتربح .

الأسير المحرر هيثم عبيدات

الحركة الأسيرة تتعرض لهجمة شاملة

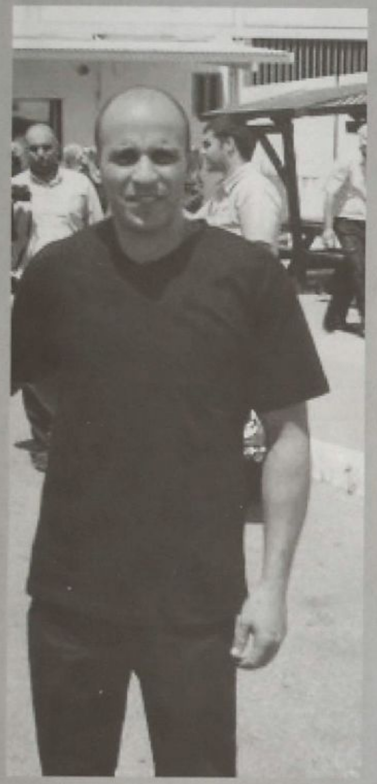

القدس: من راسم عبيدات في لقاء خاص أجرته جريدة القدس مع الأسير المحرر هيثم عبيدات، الذي أفرج عنه مطلع هذا الشهر من سجن «جلبوع» المركزي بعد أن أنهى مدة محكوميته البالغة (18) ثمانية عشر عاماً، وخلالها تنقل ورحل وعزل بين سجون وزنازين الاحتلال العديد من المرات، وفي بيت والده في قرية ابوديس حيث أقيم له حفل استقبال من قبل أهله وأصدقائه ورفاقه من الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. كان الحديث مع هيثم الذي قال بأن العائلة فرحتها لم تكتمل فقبل حوالي شهرين اعتقلت قوات الاحتلال شقيقه محمد المطارد والذي قضى عشر سنوات في سجون الاحتلال، وشقيقه محمد ليس المعتقل الوحيد للأسرة فقد اعتقل شقيقاه حسن وحازم في فترة الانتفاضة الثانية، وهيثم لا ينتمي لأسرة مناضلة بل لعائلة وحمولة دفعت الكثير من التضحيات في سبيل الوطن،منها الشهداء حسين عبيدات ومصطفى عبيدات وسعيد عبيدات،وايضا ما يقارب 150 من خيرة أبنائها دخلوا سجون الاحتلال ومعتقلاته.
وفي لقائنا وسؤالنا لهيثم عن ما تشهد السجون من حالة غليان وقمع وإضرابات،قال:هيثم بأن الاحتلال وإدارات السجون صعدت من حربها وتحريضها على الأسرى مؤخراً الذين يعشون أوضاعا مأساوية،والهجمة بهدف سحب منجزات ومكتسبات الحركة الأسيرة ومصادرة حقوقها، والضغط على آسري الجندي الإسرائيلي المأسور «شاليط»، فقد أقدمت سلطات الاحتلال على منع إدخال الصحف العبرية والعربية ومنعت الأسرى من اكمال تعليمهم الجامعي،وحتى التقدم لامتحان الشهادة الثانوية وأغلقت القنوات الفضائية،وهي تقوم بعمليات عزل وقمع واسعة ضد الحركة الأسيرة.
وعند سؤاله عن كيفية مواجهة الحركة الأسيرة لهذه الخطوات التصعيدية والاستفزازية من قبل ادارات السجون، قال الاسير المحرر هيثم عبيدات بأن الحركة الأسيرة موحدة بكل ألوان طيفها السياسي الوطني والإسلامي في مواجهة والتصدي لهذه الهجمة الشرسة،حيث خاضت اضرابات جزئية عن الطعام،وهناك تفكير جدي بخوض إضراب استراتيجي في أيلول القادم اذا ما استمرت ادارات السجون في شن حربها على الحركة الأسيرة،وأكد عبيدات بأن سجون الجنوب تخوض إضرابات أسبوعية بواقع يومين في الاسبوع السبت والثلاثاء من كل اسبوع، وكذلك سألناه عن رؤية الحركة الأسيرة لحركة الفعل والتضامن معها فأجاب، بأن الحركة التضامنية ليست بالمستوى المطلوب ويجب إخراجها من دائرة الفعل الموسمي والمناسباتي، وشدد على أن الحركة الأسيرة تطالب بالعمل على تدويل قضية الأسرى وطرح قضيتهم على كافة المحافل والمؤسسات الدولية، من أجل انتزاع اعتراف بهم كأسرى حرب تنطبق عليهم كافة المواثيق والاتفاقيات الدولية،وايضاً يجب ان تتوحد الجهود والنشاطات الجماهيرية لقضية

Digitized by Birzeit University Library

الأسرى،وبالضرورة التركيز على الأسرى القدماء تحديداً،حيث يشعرون بأنهم منسين ولا احد يلتفت لقضيتهم.

وحول رأي الأسرى في صفقة شاليط،قال» بأن هناك إجماع على أن تشمل الصفقة أسرى القدس والداخل، وأي انجاز وإتمام للصفقة بدون شمولها لأسرى القدس والداخل،معناه تكريس للشروط للمعايير الإسرائيلية،وتوجيه طعنة غادرة لتضحيات ونضالات هؤلاء الأسرى،ويضيف عبيدات أنه لا سمح الله لو نفذت تلك الصفقة متجاوزة أسرى القدس والداخل فإنه سيكون لها الكثير من التداعيات السلبية والخطيرة على وحدة الحركة الأسيرة وعلى الأسرى أنفسهم،وهذا سيدفع بالحركة الأسيرة الى حالة كبيرة من عدم الثقة والسخط على السلطة والفصائل.

وعند سؤالنا له حول ما يجري من ممارسات سلبية ومسيئة ومشوهة لنضالات وتضحيات الحركة الأسيرة مثل بيع أجهزة الهاتف الخلوي المهربة بمبالغ خيالية تصل الى 50000 شيكل للجهاز الواحد،قال» بكل آسف تجد مثل هذه المظاهر من قبل بعض مرضى وضعاف النفوس وأصحاب المصالح الخاصة،ولكن هذا لا يعكس موقفاً واتجاهاً عاماً عند الحركة الاسيرة.

وسألناه عن الأسرى المعزولين وعن الأمين العام للجبهة الشعبية احمد سعدات،فقال»جزء من النضالات والإضرابات التي تخوضها الحركة الاسيرة هي من أجل إخراج الأسرى المعزولين،والذين يتعرضون إلى الموت البطيء،والعزل يشمل قيادات وكادرات اعتقالية بهدف كسر ارادتها وتحطيم معنوياتها والحد من دورها وفعلها بين الأسرى،وابو غسان الامين العام للجبهة الشعبية والذي يعيش في عزل انفرادي منذ اكثر من ثلاث سنوات،يأتي على خلفية ثأرية وانتقامية شخصية وتنظيمية لسعدات نفسه والنهج الذي يمثله،وابو غسان هو رمز وقائد حقيقي عصي على الكسر والمساومة ولن تفلح كل إجراءات وممارسات الاحتلال بحقه عن ثنيه عن ممارسة دوره الوطني والاعتقالي.

وفي الختام دعا عبيدات الى ممارسة أوسع تحرك جماهيري وشعبي على طرفي الانقسام «فتح وحماس» من اجل اتمام ووضع اتفاق المصالحة موضع التنفيذ.

بيان صادر عن المؤتمرات الثلاثة: المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي- الإسلامي والمؤتمر العام للأحزاب العربية

صدر عن منظمتين تابعتين لهيئة الأمم المتحدة قراران خطيران يمسّان القضية الفلسطينية في الصميم:

أولاهما كان قرار المفوض العام لوكالة إغاثة اللاجئين الفلسطينيين (الاونروا) بتغيير اسمها إلى «وكالة اللاجئين» وذلك تنفيذاً لسياسة أمريكية – صهيونية ترمي إلى إلغاء قرار هيئة الأمم المتحدة الخاص بالاونروا والمرتبط باللاجئين الفلسطينيين وبعودتهم إلى بيوتهم ومدنهم وقراهم وأراضيهم التي هجّروا منها في فلسطين، وتحويلها إلى هيئة تخص اللاجئين عموماً.

فتغيير الاسم من قبل المفوض العام للاونروا وبتواطؤ الأمين العام للأمم المتحدة وبتوجيه الخارجية الأمريكية واللوبيات الصهيونية، ليس مجرد تغيير في الاسم وإنما هو انقلاب على جوهر قرار هيئة الأمم المتحدة الذي يمس قضية اللاجئين الفلسطينيين وحق عودتهم إلى فلسطين.

والقرار الثاني صدر عن هيئة رئاسة الاونيسكو وبتواطؤ من الأمين العام وبتعليمات أمريكية – صهيونية يغطي ما جرى ويجري من تهويد للقدس ويمهّد للاعتراف بيهوديتها ويهودية دولة الكيان الصهيوني.

فهذان القراران يكشفان عن أن منظمات هيئة الأمم المتحدة، وابتداء من أمانتها العامة، أصبحت رهينة للسياسات الأمريكية – الصهيونية التي تستهدف إسقاط كل الحقوق الفلسطينية والعربية والإسلامية والإنسانية في القدس وفلسطين، وهو أمر ما كان ليحدث لولا السياسات الفلسطينية والعربية والإسلامية التي ارتهنت لأمريكا، وراحت تقدم التنازلات تلو التنازلات عن ثوابت القضية الفلسطينية، وذلك بالطبع، إلى جانب سياسات الدول الكبرى الأخرى التي لم تعد تهتم إلاّ في القضايا التي تعنيها مباشرة، فضلاً عن عقد الصفقات مع أمريكا والصهيونية على حساب الحقوق الفلسطينية والقضايا العربية والإسلامية والعالم ثالثية.

الأمر الذي يفسر ارتهان منظمات هيئة الأمم المتحدة وأمينها العام للسياسات الأمريكية – الصهيونية، وهو ظاهرة لم تحدث منذ إنشاء هيئة الأمم المتحدة عندما كانت هنالك سياسات عربية وعالم ثالثية أقوى، وكان هناك صراع الحرب الباردة.

من هنا فإن مؤتمراتنا الثلاث المؤتمر القومي العربي والمؤتمر القومي – الإسلامي والمؤتمر العام للأحزاب العربية تحمّل مسؤولية تاريخية لجميع الدول العربية والإسلامية وللجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، كما تحمّل مسؤولية تاريخية للثورات الشعبية العربية وللإعلام العربي عن هذا التجاهل لمثل هذه القرارات المصيرية. وذلك حين يسمح للمفوض العام للانوروا أن يغيّر اسمها ومهماتها ويسمح لمنظمة الاونيسكو أن تأخذ قراراً يمس قضية القدس ومستقبل المقدسات الإسلامية والمسيحية والتراث التاريخي العربي فيها من دون أن يّرد عليها بخطوات حاسمة وفاعلة، أو حين يسمح لمجلس الأمن أن يتلاعب بتوجيه سياسات محكمة الجنايات الدولية.

إن المطلوب السريع الآن في مواجهة هذا التمادي هو إسقاط المفوض العام للاونروا وفضح سياسات الأمين العام وإعلان انسحاب كل الدول العربية والإسلامية من الاونيسكو وذلك من خلال قرارين من الجامعة العربية ومنظمة المؤتمر الإسلامي، إذ كيف يمكن أن تبقى دولة عربية أو إسلامية أو حتى عالم ثالثية عضواً بمنظمة الاونيسكو مع هذا القرار الخاص باعتبار القدس عاصمة لدولة الكيان الصهيوني.

ليس هناك من خطوة مقبولة أقل من هذا الانسحاب، بداية. إنه امتحان ومعيار للجميع في هذه اللحظة الحاسمة، وإلاّ أصبحت القضية الفلسطينية ومعها قضية القدس وحق العودة كالأيتام على مآدب اللئام.

وليُبعد النظر كل من يمد يد التعاون إلى أمريكا باعتبارها المسؤول الأول عن كل هذه الكوارث والقرارات.

الأمين العام للمؤتمر القومي العربي عبد القادر غوقه

المنسّق العام للمؤتمر القومي – الإسلامي منير شفيق

الأمين العام للمؤتمر العام للأحزاب العربية عبد العزيز السيد

شؤون العدو

خيام روتشيلد والتغيير المطلوب

ما يجري في الشارع الصهيوني من تحركات جماهيرية يؤشر الى وجود تناقضات اجتماعية بين حكومة الليكود وحلفائها وشرائح كبيرة من الجمهور . خاصة بعد ان اصبح الشارع هو ميدان تفاعل هذه التناقضات، اي ان المسألة خرجت من ايدي القيادات السياسية التقليدية .

فالتحركات تستهدف التغيير في المسائل الاجتماعية والاقتصادية التي اخذت تؤثر على حياة الفقراء وابناء الطبقة الوسطى بعدم قدرة هذه الفئات على تحمل اعباء نتائج السياسات الاجتماعية التي سارت عليها حكومة اليمين المتطرف خلال السنوات الماضية . تلك السياسات التي تقوم على مبدأ حرية السوق دون قيود، والتي توصل في نهاية الامر الى مركزة القوة الاقتصادية في يد طغمة مالية مرتبطة مباشرة بالسوق الراسمالية العالمية، وهذا ما تحدث عنه العديد من كتاب الاعمدة في الصحافة الاسرائيلية وما كشفت عنه وسائل الاعلام من ان التناقضات تكمن في جوهر السياسات الاقتصادية لحكومة نتنياهو، فاسرائيل « مرتبطة بنهج العولمة القائم ومتعلقة بالاستثمارات الاجنبية، فنحن لسنا دولة عظمى يمكنها ان تفعل كل مايطرأ على بالها » كما يقول يوئيل ماركوس في صحيفة هأرتس ، وفي مقدمة تلك السياسات بناء المستوطنات في الضفة الغربيةالمحتلة، وما تقدمه من اغراءات للمستوطنين لدفعهم للاقامة فيها على حساب بناء مساكن في مناطق عام 1948 تستوعب حالة النمو الطبيعي لسكان تلك المناطق حيث وصل سعر الشقة بمساحة 100 م في منطقة تل ابيب ما تدفعه الحكومة في بناء عشرات الوحدات السكنية في اي مستوطنة، وهو ما يعزز القول ان المشروع الصهيوني يستهدف الاراضي الفلسطينية وسكانها ودفعهم عنوة لترك هذه الارض لبناء المزيد من المسوطنات عليها .

من هنا نقول ان هذا الحراك ينطوي على طبيعة سياسية وان اخذ الشكل الاجتماعي .

فهذا الحراك يواجه محذورين، الاول يتمثل في عدم وجود حزب سياسي قائد يحمل برنامجا تغييريا يوصل الى التغيير الحقيقي، والخروج بهذا الحراك من شرنقة العنصرية والهيمنة الفكرية المتطرفة، اما المحذور الثاني فهو قيام حزب الليكود وحلفائه برمي بعض العظام الى ساحة روتشيلد والهاء هذا الحراك عن أهدافه في العدالة الاجتماعية التي يصعب الوصول اليها دون التغيير السياسي الحقيقي.

لذلك فإن تعليق الامال المباشرة والكبيرة في التغيير على هذا الحراك لايجب ان يتجاوز حدوده.

Digitized by Birzeit University Library

نتنياهو وعقدة القلق من النووي الإيراني

أجرت إسرائيل مؤخرا مناورات عسكرية ضخمة أرادت منها بعث رسائل داخلية وخارجية بغية إثبات قدراتها واستعداداتها سياسياً وعسكرياً من أجل مواجهة أي أخطار تحيط بها، أو السعي لاستكمال مخططاتها العدوانية المبيتة تجاه دول المنطقة.

ومن البديهي أن تتقاطع أهداف هذه المناورات مع سياقات السياسة الداخلية الإسرائيلية، وتأثرها بالمتغيرات الدولية والإقليمية. حيث كانت القيادة الإسرائيلية في السابق تتخذ قرار الحرب وتبلغه لواشنطن التي كانت تبدي شيئا من ملاحظاتها وتحفظاتها على شكله وليس على مضمونه، وهذا ما تلاشى الآن من أفق السياسة الإسرائيلية التي تترقب عن كثب اتجاهات البوصلة الأميركية بتحركاتها الميدانية والتي لم تعد تعمل وفقا لأسلوبها الماضي، فما صدر عن الإدارة الأميركية، والرئيس الأميركي باراك أوباما يؤشر على تغير ضمني في التفكير الاستراتيجي الأميركي فيما يتعلق باستخدام القوة العسكرية ولا سيما ضد إيران، وهذا جاء كإفراز طبيعي لقراءة التجارب الماضية التي اقتنعت واشنطن من خلالها أنها تكبدت خسائر فادحة في العراق، وأفغانستان، وجلبت لها الأحقاد، والضغائن على مستوى العالم بسبب دعمها للحروب الإسرائيلية.

محمد أبو شريفة

و الآن تبحث الولايات المتحدة عن خروج مشرّف من مآزقها وليس الدخول في حروب جديدة بل وتطمح لتحسين صورتها وتخفيف التوتر بين الدول، وهذا ما تؤكده المحادثات الأميركية الروسية للاتفاق على تخفيض الترسانة النووية في كلا البلدين، وهو ما يحد من القدرة الإسرائيلية على شن ضربات عسكرية جوية للمنشآت النووية الإيرانية بدعم أميركي، إلا إذا قررت أن تخوضها منفردة، وهنا ستواجه إسرائيل أزمات سياسية وعسكرية منها ما يتعلق بقدرات الجيش الإسرائيلي وكفاءة جنوده القتالية التي اعتراها الكثير من نقاط الضعف، والتراجع في حروبهم الشاملة النظامية والتقليدية ضد المقاومة الفلسطينية واللبنانية على الرغم من الدعم العسكري والسياسي الأمريكي.

نوايا مبيّتة

وعلى الأرجح، فإن ثمة تغيراً جوهرياً حصل في طريقة تناول إسرائيل (للمسألة الإيرانية)، فبعد أن كانت تعتبرها (مشكلة عالمية)، لن تتصرف حيالها بشكل أحادي، فقد باتت مؤخراً تلمح إلى أنها حرة الحركة ضدها، وهو تطور أخذ ينمو بالتدريج، مما أظهر تل أبيب لأنهم يعتبرونها تهديداً حقيقياً لأمنهم وخطراً على وجودهم. ويبدو أن هذا هو ديدن القيادات الإسرائيلية المتعاقبة التي ترى في إيران خطراً استراتيجياً على وجود إسرائيل في المنطقة، فقد قدم رئيس الوزراء الإسرائيلي السابق أيهود أولمرت، ووزير دفاعه أيهود باراك وقبيل انتهاء ولايتهما (بحسب صحيفة هآرتس) لائحة بطلباتهما لإدارة الرئيس بوش من أجل تسهيل الهجوم الجوي الإسرائيلي على إيران، إلا أن ظهور الأزمة الاقتصادية والمالية العالمية حال دون تنفيذ ذلك، كما أن وسائل إعلام بريطانية كشفت النقاب ومنذ أكثر من خمس سنوات عن معلومات استقتها من مصادر عسكرية إسرائيلية أفادت بأن رئيس الوزراء الإسرائيلي آرييل شارون أصدر أوامره إلى الجيش الإسرائيلي بالاستعداد لشن هجوم على المفاعلات النووية الإيرانية في نهاية شهر آذار(مارس) من العام 2006 بالتزامن مع موعد إجراء الانتخابات البرلمانية في إسرائيل على ضوء تلقيه معلومات من أجهزة الاستخبارات تفيد أن إيران أنشأت مفاعلات لتخصيب اليورانيوم في مناطق مدنية، وبحسب المصادر الإعلامية البريطانية بدأت الاستعدادات لتنفيذ عملية مشتركة من قوات خاصة وسلاح الجو بهدف عرقلة البرنامج النووي لعدة سنوات، وتم اختيار آذار(مارس) بسبب تخوف إسرائيل من قيام إيران بتحسين قدراتها الاستخبارية والدفاعية، ومرّ أكثر من سنة على الموعد المرتقب إسرائيلياً ولم ينفذ شيء، لكن ما زالت الرغبة الإسرائيلية موجودة والنوايا مبيتة، وهي قيد التنفيذ في حال توفر الفرصة المواتية.

وكشفت تقارير إسرائيلية مؤخرا بأن المنطقة تشهد تطورات متسارعة خلال السنوات الأخيرة، تشير معظمها إلى أن تحركا عسكريا إسرائيليا ما قد تشهده الأجواء والسواحل والأراضي المجاورة، وغالبا ما ستكون وجهته إيران، حيث أن التركيز الإسرائيلي منذ إعلان فوز اليمين في الانتخابات البرلمانية، بقي في نهاية الأمر كما لو أنها مطالبة باتخاذ خطوة عسكرية ضد طهران، ولو بصورة منفردة. حتى أن بعض التقارير تحدثت عن نوايا إسرائيلية لضرب إيران قبل أيلول (سبتمبر) المقبل.

وضمن هذا السياق، كشف أحد قادة الاستخبارات الأميركية الـ (سي آي إيه)، ممن لديهم اطلاعاً مباشراً على تطورات الملف الإيراني، النقاب عن حوارات ساخنة دارت خلف الأبواب المغلقة، واجتماعات ضمت غابي أشكنازي رئيس هيئة الأركان، ويوفال ديسكين رئيس جهاز الشاباك، وعاموس يادلين رئيس الاستخبارات العسكرية، بدعوة من رئيس الوزراء بنيامين نتنياهو ووزير الدفاع إيهود باراك، دارت جميعها للبحث في (نقاط القوة والضعف) في أي قرار إسرائيلي للهجوم على إيران.

ومن الأهمية بمكان الإشارة إلى أن حكومة بنيامين نتنياهو اليمينية المتطرفة لم تنتخب إلا لأنها وضعت معالجة الموضوع الإيراني ضمن جدول أولوياتها، وتحدثت بشكل جدي عن ضرب إيران، ووافقها بذلك غالبية الإسرائيليين الذين أيدوا ضرب المنشآت النووية الإيرانية،

منصباً، وما زال، على الملف النووي الإيراني. وفي ظل تنامي المؤشرات الميدانية الأخيرة، والتحركات السياسية، واللقاءات المكوكية، السرية منها والعلنية، فقد بات من الواضح أن توجها إسرائيلياً ما يعد لإيران، وأن المنطقة حبلى بتطورات قد تبدو «دراماتيكية»، لا يعلم أحد عقباها.

لكن هذا التوجه يحمل العديد من العقبات الموضوعية التي تحول عمليا دون تحقيق مراد حكومة نتنياهو من حصول ضربة جوية لإيران في المستقبل المنظور، ومن أبرز هذه العقبات غرق الحليف الأمريكي في المستنقع العراقي، والأفغاني، وتفاقم الأزمة المالية العالمية وحرص الرئيس الأميركي أوباما على مواصلة الحوار مع إيران لإقناعها بالتخلي عن مساعيها للحصول على السلاح النووي. وعدم السير في سباق التسلح النووي في منطقة الشرق الأوسط.

وهذا ما تعيه جيداً القيادة الإسرائيلية على الرغم من تصريحاتها في الآونة الأخيرة والتي ضمّنتها رسائل تهديدية من خلال المناورات والتحضيرات وإبحار الغواصات، واستغلالها لتصريحات أميركية بلسان نائب الرئيس الأميركي جو بايدن، ورئيس هيئة الأركان مايكل مولين الذي صرح بوجوب «إبقاء الخيار العسكري للتعامل مع الملف النووي الإيراني » لكنه استدرك بأن «هذا الخيار سيء ويعرض المنطقة والعالم لعدم الاستقرار».

وفي هذه الأثناء لقي خمسة خبراء في الصناعات النووية الروسية مصرعهم، الشهر الماضي، في حادث غامض لتحطم طائرة في شمال روسيا. وقالت مصادر أمنية روسية، وصفت بأنها (موثوقة) لمصادر أمنية إسرائيلية إن الخبراء الروس كان لهم دور في التخطيط للمفاعل النووي الإيراني في بوشهر. وبحسب المصادر الروسية فإن فقدان الخبراء الخمسة، وخاصة كبير الخبراء الروس – أندريه تروبيموف يعتبر ضربة قاسية للصناعات النووية الروسية. وعلم أن دور الخبراء الخمسة كان استكمال بناء المفاعل والتأكد من صموده أمام الهزات الأرضية، وبحسب المصادر الروسية فإنه بالرغم من وقوع حوادث غامضة، ومن ضمنها تحطم طائرات طالت علماء ذرة إيرانيين، إلا أنه لم تجر أية تحقيقات حتى اللحظة بشأن إمكانية أن يكون تحطم الطائرة نتيجة لعملية، وأن التحقيقات تتركز على (أخطاء بشرية أو خلل فني).

مصالح متضاربة

في الواقع، ثمة مصلحة أميركية إسرائيلية بتحجيم دور إيران في المنطقة والعالم ، بالإضافة لمنع امتلاكها السلاح النووي، لكن هناك تبايناً بينهما في كيفية تحقيق هذا الغرض، وتراهن تل أبيب على تبدل قناعة الرئيس الأميركي بمرور الوقت لتتوافق مع الرؤية الإسرائيلية التي تقول بعدم جدوى الحوار مع إيران، وكذلك فرض العقوبات، ولا خيار إلا في استخدام القوة العسكرية، والى أن يتحقق ذلك يواصل الجيش الإسرائيلي استعداده ومناوراته وتدريباته، وفي الوقت ذاته تنشط الدبلوماسية الإسرائيلية في الحيلولة دون امتلاك إيران لمنظومات دفاعية متطورة سواء من روسيا، أو من غيرها ، وهذا لا يعني أن لا تغامر إسرائيل وتنفرد بضرب إيران، فإسرائيل تمتلك طائرات حديثة مزودة بأجهزة تشويش تساعدها على تلافي الدفاعات الجوية الإيرانية وقادرة على التزود بالوقود جواً، وتحمل صواريخ وقنابل تخترق التحصينات وبإمكانها الاقتراب للأهداف من المناطق الأقل رقابة وسيطرة، مع إدراكها أن هذه الضربة مكلفة مادياً ومعنوياً، وغير محسومة النتائج من حيث ما تتطلبه من وقت كبير وتأمين المجالات الجوية الآمنة وتوفر معلومات الأقمار الاصطناعية والرادارية وأجهزة التشويش المتطورة، وذلك بسبب انتشار الأهداف الإيرانية على كافة المساحة الجغرافية الإيرانية. كما أن إسرائيل تأخذ بالحسبان حجم الرد الإيراني ،فهل هو تقليدي بالصواريخ أم غير تقليدي بالرؤوس الكيماوية والبيولوجية؟ والذي يمكن أن يجبرها على استخدام كل سلاحها الجوي بعيداً خارج فلسطين المحتلة، مما يعرضها للخطر وإمكانية فقدان العديد منها ويبقي أجواءها مكشوفة ودون حماية جوية، وتستنفد مخزونها من القنابل الذكية، و طائرات التزويد بالوقود في الجو مما يعرضها لاحتمالات عدم النجاح ومواجهة الأخطار كافة لوحدها، وخاصة أن إيران استفادت من تجربة ضربة مفاعل العراق النووي وتزودت بمنظومات دفاعية، وشبكات صاروخية، ورادارات وأجهزة إنذار مبكر ، وهي عوامل من شأنها إفشال العملية.

ومن أجل تفادي الفشل في هذا السيناريو المرعب تراهن إسرائيل على توريط الإدارة الأميركية بخوض زمام المغامرة عنها، أو أن تلجأ لسيناريو أقل خطورة في محاولة لاستدراج الرد الإيراني وإشعال فتيل الحرب وخلط الأوراق في المنطقة وتحريض المجتمعات الغربية والدول العربية على إيران، وتحذيرهم من تداعيات الأخطار الجمة التي ستنجم عن الحرب. ولكن لسان حال حكومة بنيامين نتنياهو يقول بإمكانية التوفيق بين عقدة القلق من السلاح النووي الإيراني وبين المغامرة بالهجوم عليه وتدميره قبل نفاد الوقت.

ويرى العديد من الخبراء السياسيين والعسكريين الإسرائيليين بأن استخدام الخيار العسكري ضد إيران يتطلب المزيد من التروي والتأني، لأنه قد لا يكون أمراً حكيماً اللجوء إليه، ويعتقد هؤلاء بأن من سيحل هذه (المعضلة) هو الرئيس الأمريكي، الذي بإمكانه أن يعلن أن آثار هذا الهجوم المتوقع سيؤثر سلبا على المصالح الأميركية في الخليج، ويقول بشكل قاطع وواضح بأنه ليس مقبولا أن تتم عملية كهذه، متخوفا من عدم توفر هذه الرسالة الأميركية اليوم أو في المستقبل. علما بأن أي عمل عسكري ضد إيران سيكون من أهدافه الأساسية، بحسب الخبراء، تحسين القدرة الردعية لإسرائيل، في ضوء تراجع مستواها منذ سنوات، وذلك عقب الانسحاب من لبنان، وتنفيذ خطة فك الارتباط عن غزة، وإخفاقها في الحربين الأخيرتين في 2006 2009، ومن المؤكد أن تل أبيب لن تتوانى عن استحضار شعارات الحرب التي (فُرضت علينا) و(حرب اللاخيار) وأن (الحرب من أجل بقائنا ذاته).

ولعل العديد من المتابعين لخبايا الصراع بين إسرائيل وإيران، يؤكدون بأن عوامل عدة قد تعرقل أي عملية عسكرية إسرائيلية ضد إيران، منها أن العملية لن تقضي على المشروع النووي الإيراني، ولكنها على أبعد تقدير ستؤدي إلى تأخيره لعدة سنوات. كما أن من شأن الهجوم أن يُحوّل إيران إلى عدو ناشط لإسرائيل على مدى الأجيال القادمة. ويعطيها أيضا شرعية لاستئناف مشروعها النووي بالعلن، بادعاء أن هذا حقها في الدفاع عن نفسها حيال هجمة (قوة نووية عظمى) إقليمية. وتوقع هجمة انتقامية إيرانية، بمشاركة حلفائها في المنطقة، ضدّ منشآت الطاقة النووية لإسرائيل، ومراكز جبهتها الداخلية المدنية.

الأيام والأشهر القليلة القادمة ستكشف نتائج الحوارات والنقاشات الإسرائيلية تجاه الملف النووي الإيراني والتي من المرجح أنها ستقرر شكل ومضمون المرحلة المقبلة.

Digitized by Birzeit University Library

المكوّن العسكري
في السياسة الإسرائيلية

أحمد.م.جابر

«نحن لولا خوذ الحديد والمدفع لما أتيح لنا قط أن نغرس شجرة واحدة أو نبني بيتا واحدا».
موشيه دايان

كانت القوة وما تزال، وسيلة وغاية لتحقيق السياسات الصهيونية، وغاية في حد ذاتها لتوفير مناعة لا تخترق للمشروع الصهيوني، ونتيجة لأهمية القوة في الفكر الفاشي الصهيوني، كان لابد لأدواتها أن تحتل مكانة رئيسية في تفكير الساسة، وتفكير المجتمع، فصار الجيش قدس أقداس إسرائيل، وأيقونتها التي لا تمس، وصارت العسكرية الأمنية هاجسا دائما للسياسي، والمثقف، ورجل الشارع.
وعلاقة الجيش الإسرائيلي بالمجتمع نابعة من أنه يستمد منه أيدلوجيته، ويستجر قواه البشرية ولكنها (المؤسسة العسكرية) لا تلبث أن تعيد إلى المجتمع تلك الأيدلوجية بعد إعادة صياغتها بصورة خالصة في عملية ترتيب وتدريب وتعليم هدفها خلق (صهيوني) يتناسب مع هذه الأيدلوجية النقية التي أعادت المؤسسة العسكرية صياغتها.

ومن العوامل المساعدة في بروز تأثير المؤسسة العسكرية :

• طبيعة المهمة الملقاة على عاتقها، وهي الدفاع والأمن التي يتعلق بها حاضر ومستقبل إسرائيل كوجود سياسي وبشري، وهكذا فالمجتمع تعامل مع المؤسسة العسكرية بصفتها الضامن الوحيد لوجوده.

• الاندماج حد التطابق بين أيدلوجية المؤسسة العسكرية مع أيدلوجية الدولة والأحزاب السياسية والتنظيمات، وبحكم قيام الأيدلوجية الصهيونية على مبدأ القوة فإن المؤسسة العسكرية هي الأكثر تعبيراً عن هذه الأيدلوجية.

• بحكم طبيعة مهماتها حازت المؤسسة العسكرية على دعم مادي بشري كبيرين، وهي تحظى بأعلى نسبة إنفاق من الناتج القومي الإسرائيلي.

وتتبدا أهمية وخطورة الجانب الأيدلوجي في أن ما لا يقل عن 90% من الذكور و70% من الإناث يلتحقون بالخدمة العسكرية لفترة تتراوح بين 24–36 شهراً إضافة إلى خدمة الاحتياط التي تتجدد سنويا حتى سن 55 عاماً. ويتبدى حجم التأثير الحقيقي للمؤسسة العسكرية في أجهزة البنيان السياسي للسلطة عبر قناتين:

• تشارك المؤسسة العسكرية في رسم السياسات الراهنة والمستقبلية المتعلقة بموضوعي الأمن، والدفاع، وكلاهما موضوع أساسي في إسرائيل، وكل القضايا الأخرى تخضع بصورة كلية تقريبا لضرورات هذين الموضوعين على النحو الذي تقرره المؤسسة العسكرية.

• تظهر القناة الثانية في كون قادة المؤسسة العسكرية يلعبون دوراً بارزاً في قرارات المجلس الوزاري المصغر (الحكومة الأمنية)، سواء من خلال عضوية وزير الدفاع، أو مشاركة رئيس الأركان وقادة الأسلحة والأجهزة بصفة استشارية.

يصف كلود كلين – أستاذ القانون – الجيش بأنه «أكبر مزود لرجال السياسة» فعندما يغادر الضباط زيهم العسكري إلى وظائف مدنية برواتب مجزية تخصص لهم الشركات الوطنية التابعة للدولة أو المختلطة ، إذ أن شركات المياه، والهاتف، والكهرباء، واستيراد البترول، والأسلحة يسيرها متقاعدون من الجيش، حيث يعتبر الجيش مصعدا اجتماعيا حقيقيا لكثير من الإسرائيليين.

وهكذا لعب الجيش دائماً دوراً سياسياً هاماً في إسرائيل، أحد هذه الأدوار باسم الجيش نفسه، والثاني من خلال الضباط الكبار الذين يعاد تدويرهم مرة أخرى كسياسيين، ونادراً ما تخلو المقاعد العشرة المضمونة في الكنيست للأحزاب الرئيسية من جنرالات سابقين لعبوا أدواراً عسكرية أساسية.

ولعل تفسير النفوذ المتزايد للعسكريين يمر بأسئلة مطروحة بالسنة إسرائيلية ، كيف يمكن الإبقاء والمحافظة على مجتمع (ديمقراطي) في ظل وضع يتمتع فيه الجيش الذي يعتبر بطبيعته وحسب تعريفه جهاز غير ديمقراطي، بمثل هذه المكانة الرفيعة؟، وثم كيف يجب التعامل مع شخص انتقل من المستوى العسكري إلى المستوى المدني؟ وهي حالة رائجة في إسرائيل، ارتباطا بالقول بأن التجربة هي التي تصنع الإنسان وتصوغه، ومن هنا فإن الإنسان العسكري يبقى حتى بعد انتقاله إلى المستوى المدني، عسكريا في توجهه، بما يفسر بأن الانتقال المستمر والواسع النطاق لكبار الضباط إلى مواقع القيادة السياسية إنما يدل على عملية عسكرة المجتمع والسياسة في إسرائيل.

لعل تفسير ذلك يكمن في الضعف النسبي للمؤسسات المدنية في إسرائيل، وهو ضعف يترك فراغا في الساحة يشجع المستوى العسكري على التحرك لملئه.

إن تفسيرا قاصرا قد يقترح أن المشكلة يكمن حلها في تقوية وتعزيز المؤسسات والهيئات المدنية، هو تفسير قاصر لأنه يتجاهل طبيعة النشأة والمبنى للكيان الصهيوني القائم برمته على نظرية العنف المقدس وأولوية السلاح.

ورغم قصور التفسير أعلاه فإنه لا يمكن إنكار أن الهيئات المدنية ضعيفة بالفعل، وذلك لعدم وجود هيئة مدنية قادرة على تنفيذ مهام تحليل الواقع وبلورة وتنفيذ السياسة مما يترك هذه المهمة للجيش وكمثال على ذلك ما تسرب من مداولات المجلس الوزاري المصغر (الكابينيت) قبل انسحاب الجيش الإسرائيلي من لبنان عام 2000، حيث تردد حديث مفاده أن «الجيش يسعى إلى بث الخوف بيننا»أي أن الجيش مارس التخويف والترهيب على المجلس في تحليل الواقع ففي ظل عجز الهيئة المدنية عن أخذ دورها. لا عجب إذاً في وجود عسكريين ضمن أطقم رسم السياسة وتنفيذها.

وإسرائيل خلافا لكل الديمقراطيات الأخرى (التي تزعم الانتماء إليها)، تتميز بالغياب المطلق تقريبا للرقابة البرلمانية على جهاز الأمن، لا توجد دولة ديمقراطية أخرى في العالم تعمل فيها المؤسسة العسكرية–الأمنية بصورة ذاتية كاملة من دون أن تكون هناك محاولة حقيقية ولو شكلية لمراقبة ما يحدث فيها.

هذا الواقع حد من قدرة الإدارة المدنية على اتخاذ قرارات مستقلة عن الجيش في أغلبية ساحقة من المواقف التي تطلبت رسم سياسات. وقد سجل التاريخ أربع حالات فقط بلور فيها رئيس الحكومة الإسرائيلية سياسات لم يقترحها الجيش وكان يعارضها في عام 1977 عندما قرر بيغن توقيع اتفاق سلام مع مصر، ثمنه الانسحاب من سيناء، عارض ذلك قادة الجيش، وفي عام 1993 عارض الجيش قرار اسحق رابين تبني اتفاقيات أوسلو. كما إن أيهود باراك عام 2000 سحب الجيش الإسرائيلي من لبنان على الرغم من المعارضة الصاخبة والعلنية من قبل قادة الجيش وعلى رأسهم موفاز، وفي عام 2005 قرر شارون تنفيذ خطة الانفصال والخروج من غزة على الرغم من أن رئيس هيئة الأركان العامة موشيه يعالون وكبار قادة الجيش عارضوا الخطة.

وباستثناء هذه الحالات فإن قرارات الحكومة المتعلقة بمجال الأمن كانت مستندة دائما إلى الاقتراحات التي عرضها الجيش على طاولة رئيس الحكومة.

ويناقش ميخائيل وارشوفسكي فرضياً، وجود تيار يميني متطرف ومنظم داخل الجيش وداخل أجهزة الأمن المتنوعة يعارض عملية السلام ويقوم بمبادرات لتخريبها، وهكذا فالجيش يشكل حاضنة ملائمة لتيار يميني قوي تمثل في قائمة طويلة من الجنرالات وصل كثير منهم إلى مناصب وزير ورئيس حكومة، ويؤكد وارشوفسكي أنه منذ 1996 وما بعدها أصبح الجيش سلطة فريدة في حقوقها الخاصة وعلاقتها بالحكومة، وقد اعترف بيرس بسيادتها الخاصة ودعمها نتنياهو وباراك الذي جعل الجيش حزبه السياسي الحقيقي وكذلك (أبو الجنود) شارون.

القناة الثانية المذكورة أعلاه، تظهر في أن كبار الضباط يحضرون اجتماع الوزارة والاستخبارات العسكرية تلقق المعلومات ويبرر الجيش المبادرات السياسية والعسكرية ويكتب النصوص وكان موشيه يعالون الجنرال السابق وأبرز مرشحي العمل في انتخابات 2006 أول من أطلق صفة منظمة إرهابية على السلطة الفلسطينية وقدّم (الدليل)، ووضع السيناريو الذي تم تنفيذه منذ عام 2000 لتدميرها. ويلاحظ المراقب اقتران معظم التقديرات التي تصدر عن شخصيات الجيش برؤية أصحابها السياسية.

تسييس الجيش، أو عسكرة السياسة، جاء نتيجة طبيعية للرؤية الإسرائيلية العامة كما ذكرنا في تحديد أولويات الإستراتيجية، ولما كان الأمن هو الوسيلة وهو الهدف، فمن الطبيعي أن يلعب رجال الأمن دوراً سياسياً بارزاً.

ومنذ 1996 بشكل خاص أصبح الضباط يطلقون تصريحات سياسية وينذرون الحكومة ويعتبرونها غير حازمة، ويخاطبون الرأي العام مباشرة، وهذا يحدث بلا اتفاق مع القيادة السياسية المنتخبة برضاها

وقد اعترف جلعاد شير أحد أبرز المفاوضين مع الجانب الفلسطيني في كتابه عن المفاوضات أن «تعليمات السلطة المدنية بخفض التوتر كانت تبقى حبراً على ورق، فالدبابات لا تعود إلى مواقع انطلاقها ولا يسمح للعمال الفلسطينيين بالدخول إلى إسرائيل إلا بأعداد ضئيلة، ولا ترفع الحواجز عن الطرق» ويشير شير إلى نزعة بعض القيادات العسكرية لاتخاذ مواقف عملية يتوجهون بها إلى الرأي العام من فوق كتف الحكومة المنتخبة، ولكن عدم اتخاذ أي إجراءات قانونية ضد هؤلاء القادة يثبت ما ذكرنا سابقا أن ذلك يحدث بالاتفاق مع الحكومة وبرضاها.

إن ما سبق ينسجم تماما مع رؤية موشيه دايان أن «ليس لإسرائيل سياسة خارجية دائما سياسة (دفاعية فقط) في حين يرى إيغال يادين ثاني قائد أركان للجيش بعد قيام الدولة (1949–1952) انه ليس في إسرائيل مدنيون، فالمواطن الإسرائيلي هو جندي في إجازة لمدة أحد عشر شهراً ويعلق إسرائيل شاحاك بالقول «إن إسرائيل ليست دولة لها جيش وإنما جيش له دولة».وهكذا تتبرر السياسة المتواصلة التي مارستها المحكمة العليا طوال سنوات وهي الامتناع عن التدخل في اعتبارات المستوى الأمني الذي يقدم النصيحة لرئيس الحكومة وقد امتنعت أيضا عن الاصطدام برأي هذا المستوى (الأمني) وتوصيته. وبالتالي امتنعت عن أن تطلب من خارج المؤسسة الأمنية رأيا شخصيا آخر مجردا من المصالح والمكانة الرسمية.

في دراسة بعنوان التنظيم العسكري للمجتمع، يحدد ستنسلاف أندرسكي أربعة أنماط مختلفة لتسلط العسكرية وإثارة المجتمع وإعداده للحرب، ولدى التفحص الدقيق للحالة الإسرائيلية نجد تحقق الشروط الأربعة الواردة في الدراسة، وهناك ما يكفي من المؤشرات التي تثبت صحة ما نذهب إليه حيث جاء معظم رؤساء الوزراء من المؤسسة العسكرية، وكذلك عدد من وزراء الخارجية والدفاع وكثير من الوزراء الرئيسيين.

لا يقتصر الأمر على ذلك بل إن الأحزاب السياسية اصطبغت بسمة عسكرية واضحة عندما وصل الجنرالات إلى قيادة الأحزاب، والأمثلة واضحة، خلال العقدين الأخيرين من رابين إلى شارون إلى باراك بيرين، وبن إليعازر، ومتسناع، وغيرهم.

ومن بين الجنرالات المتقاعدين ينتقل الكثيرون إلى وظائف رئيسية في الشركات العامة وأصبح آخرون عمداء كليات وأساتذة جامعيين ومحافظين.

وحتى زمن قريب لم يكن أحد ليتجرأ على نقد الجيش أو توجيه أصابع الاتهام إليه، وتعود المنزلة العالية التي يحتلها إلى أربع نقاط أساسية:

• العامل الديني باعتبار الحرب عمل مقدس، واحتلال القوة العسكرية منزلة عليا كما سبق وبينا.

• النشأة الشاذة للكيان الصهيوني التي تجعل الأمن في رأس جدول أولويات الدولة ومسالة الأداة العسكرية غاية في الأهمية.

• الدور الذي يتحمله الجيش في تحقيق الأمن والدفاع عن الاستيطان.

• اتساع دور الجيش في المجتمع بشكل كبير.

وتبدو النقطة الأخيرة متبلورة في المجالات التي سيطر عليها الجيش في المجتمع حيث يشرف على قوة العمل البشري، لأنها نفسها جيش الاحتياط، كما يشرف على المستوطنات الزراعية بسبب احتلالها مكانة دفاعية، وكذلك على الصناعة حيث هناك 120 ألف إسرائيلي يعملون في الصناعة الحربية يشكلون ما يزيد عن 40% من مجمل قوة العمل الصناعية. ولا شك أن صناعة السلاح هي أكبر مشروع منفرد في البلاد. ويعطي حجم الإنفاق دليلاً إضافيا على أهمية الجيش حيث شرعت إسرائيل ومنذ السبعينيات زيادة معدلات الإنفاق الحربي بالنسبة للدخل القومي حيث تجاوز 43.3% مقارنة بـ5.5% لفرنسا و 8.3% للولايات المتحدة وشكلت صادرات السلاح والصناعة العسكرية نسبة 16% من مجمل صادرات إسرائيل قياسا بـ 4–5% لفرنسا و4.5% للولايات المتحدة و 2.5% لبريطانيا.

إضافة لذلك يشرف الجيش على قطاع المواصلات بسبب ضيق المساحة مما يفرض تحكما بالممرات البرية، والجوية، والبحرية، وكذلك الإشراف على التعليم، وعلى الصحافة حيث هناك رقيب عسكري في مكاتب كل صحيفة، ويتولى الجيش المسؤولية عن حكم الأقلية العربية خارج المدن.

وتضطلع المؤسسة العسكرية الإسرائيلية بدورها في المجتمع عبر عدة وسائل أهمها الخدمة العسكرية، والتربية، والتعليم، ومنظمات الشباب، والتحشيد الذهني، والتعبئة العسكرية لعموم المجتمع وتقوم الخدمة العسكرية على أساس نظام وضعه يغال يادين – رئيس الأركان العامة في عهد بن غوريون المعين في 1949/11/19 وكانت المشكلة التي واجهها في إعادة تنظيم الجيش هي مشكلة نقص القوى البشرية النسبي، ثم توصل إلى فكرة (الجيش الدائم الصغير والجيش الاحتياطي الكبير) هذا النظام أصبح من المعالم المهمة التي تميز الخدمة العسكرية الإسرائيلية.

Digitized by Birzeit University Library

انتم اياديكم متشابكة مع «مارزل»،

ونحن نجهز لثورة في يافا

يكتب اودي الوني: لا يوجد شخص تسري في عروقه الثورة ، لا يثير به المشاعر هذا النضال المستمر منذ اسابيع ولا يوجد ايا منا لا يأمل بان العدل المنتشر في البناء الايدولوجي الاسرائيلي يستطيع فتح قلوب الاسرائيليين وأيضا القمع المستمر عبر السنوات للفلسطينيين مواطني الدولة وسكان المناطق المحتلة ، وفي كل مرة اسمع فيها شعار (باننا لسنا سياسيين) ، حيث يقيم اليمين واليسار ، ينتابني شعور بالحزن لان في اسرائيل بالضبط يعتبر هذا التعبير نحن غير سياسيين هو كلمة السر في الايدولوجيا السياسية التي تعني بأن الفلسطينيون خارج اللعبة .

وحتى لو كانوا من مواطني الدولة ، وهذا ما حصل في التجمع الكبير لمثيلي الجنس بعد حادث القتل في تل أبيب عندما قام رؤساء التجمع بالسلام على نتنياهو ولم يعطو الحق لعضو الكنيست العربي بالكلام وهذا ما يحدث الأن .

وفي مقال لصحيفة ايديعوت احرنوت تحدث البروفيسور نسيم كردور على خطأ اليسار الاسرائيلي بأنه يتحدث دائما عن السلام ولم يتحدث مطلقا ولو مرة واحدة عن العدل! وهو قد تناسى أنه يتكلم فقط باسم اليسار الوطني اما اليسار الراديكالي فكان دائما يرفع شعار، لا سلام بدون العدل وهذا شعار الفهود السود وهو يثبت صحته اليوم، لقد عاد الفهود السود الى جنوب تل أبيب ليدافعو عن العمال الاجانب والفلاحين بعد نضاله الكبير والمتعب في بعلين ونعلين بجانب المزارعين الفلسطينيون التي سرقت اراضيهم.

ان اليسار الحقيقي هو ذلك الموجود في خيام رجالات كاديما والعمل يمكنهم تشبيك اياديهم مع باروك مارزل لان الطيور على اشكالها تقع ونحن من داخل خيامنا سنجهز للثورة في يافا.
الجبهة ثنائية القومية(للعدل الاجتماعي والسياسي من النهر حتى البحر)

يوسف الصليبي

الاحتجاج في اللد والرملة ويافا والشيخ جراح ، المتضامن مع أصدقائه وهم يشكل تجمع ثنائي قومية، للنضال ضد سياسة هدم البيوت نضال مشترك لاجل العدل السياسي والاجتماعي.

الان قد يفهم الشباب الاسرائيلي ما معنى بأن لا يكون لك بيتا وهم ينضرون بغضب على الابراج، وسيكون الان الوقت الكافي لينظروا للأسفل متضامن مع أولائك الذين يناضلون من أجل بيتهم حيث يجري اعتقالهم واطلاق الرصاص الحي عليهم وربما من جادة روتشيل يتعلمون كيف يمدوا ايديهم للفلسطينيين يد العدل قبل ان يمدوا ايادي السلام ولكن الان لا توجد ايادي ممدودة لا عدل ولا سلام بل صمت مطبق.

واذا كان ضروريا تسمية النضال الفلسطيني الشعبي يمكن ان نطلق عليه النضال من اجل البيت لان النضال في بلعين هو نضال من اجل البيت وهكذا في الشيخ جراح وان خيمة الاحتجاج الموجودة في اللد منذ اكثر من نصف عام التي أقيمت بعد ان تم طرد اكثر من ستين طفلا في الشوارع انه نضال من اجل البيت وان يوم الارض هو ايضا نضالا من اجل البيت ، وان حق الاجئ الفلسطيني بالعودة هو نضال من اجل البيت .

في فبراير هذا العام كانت هناك دعوة للاسرائيليين للاشتراك في ثورة اليساريين لكي تساعد في خلق امكانية لشرق اوسط جديد شاب وديمقراطي مستلهما روح ميدان التحرير ، وانه علينا التفكير ببعد اكبر من البعد الوطني او القومي ولذالك عندما قام العبد ابو شحادة واصدقائه باقامة خيمة الاحتجاج ثنائية القومية من اجل الحق بالسكن للفلسطينيين .

ليس امرا تافها بأن الفلسطيني من مدينة يافا اقام خيمة ثنائية القومية وان الكثير من الفلسطينيين يعتقدون وبحق بان طالما اخوتهم الفلسطينيين محتلين ومقموعين ومتطهدين وان قوانين الاحتلال تدافع باستمرار عن سرقة اراضيهم ونقل ملكيتها لأيد يهودية وكذالك من خلال قمع حرة الفلسطيني فانه لا مبرر لنضال مشترك مع احترام المتواجدين في جادة روتشيلد ، فان النضال الذي يتجاهل القضية الفلسطينية لا يمكنه ان يكون نضالا من اجل العدل .

وانني أشكر سكان مدينة يافا على اقامتهم هذه الخيمة والذي يحمل في طياته ايمانا بان يقوم منضمي الاحتجاج (اليهود) باضافة بند يدعو الى وقف سياسة هدم البيوت وسن قانون يمنع سرقة اراضي الفلسطينيين وحنيها سيقوم الكثير من الفلسطينيين بالاشتراك في النضال المشترك .

لقد طالب المحتجون بان يكون اللقاء مع رئيس الوزراء امام عدسات الكاميرا ونحن نقول لكي نقابلكم في جادة روتشيل لدينا شرط فقط اذا كان لديكم مطالب محددة وواضحة لرفع الظلم الواقع على الفلسطينيين على جانبي الحدود وانكم حتما ستجون جمهور اوسع بدون خيار ما لم تعملو على ضوء العدل العام والشامل فان هذه الاحتجاجات ستنتهي في احسن الاحوال بتحسين موقف الفئة الحاكمة او اسوأ من ذلك ان يقوم اليمين باستغلال هذه الاحتجاجات وان المستوطنين في روتشيل سيكون مثلهم مثل المغتصب للنساء الذي يشارك في مسيرات الدفاع عن حق المرأة ، وفي اثناء كتابة هذا المقال نشر بان العديد من اعضاء حزب كاديما والعمل وقعو على وثيقة تعتبر اللغة العربية ليست لغة رسمية وكذالك تفضيل يهيودية الدولة عن ديمقراطية الدولة ، ان اليهود المؤمن بالنضال والديمقراطية سيكون مع اخونه العرب اما اعضاء كاديما والعرب فعليهم تشبيك اياديهم مع ايادي باروك مارزل لان الطيور على اشكالها تقع .

تعليق:

على ضوء الاحتجاجات المتزايدة داخل الكيان الصهيوني على ارتفاع اسعار الشقق السكنية والارتفاع الجنوني في مستوى المعيشة بحيث لا تستطيع الفئات المتوسطة في الكيان العيش في هذه الظروف الصعبة والقاسية من غلاء اسعار في شتى المناحي وهذا يعبر بجوهره احتجاج طبقي على الظلم الواقع على هذه الطبقات المتوسطة والفقيرة من جراء سياسة نتنياهو الاقتصادية التي تدعم الطبقات العليا حيث تزداد غنى على حساب هذه الطبقات وربما ان هذه الاوضاع السائدة داخل الكيان الصهيوني الان والتي تتفقاهم يوما بعد يوم تدفع نتنياهو للتفكير الى مغامرة عسكرية على احدى الجبهات في الشمال او في الجنوب ، وحيث ان الشمال وخاصة سوريا توجد بها احتجاجات شعبية واسعة فان نتنياهو لا يمكن ان يتوجه حزب الله هناك وسيبقى الاحتمال الاكبر في تفكير نتنياهو ان يشن حربا على قطاع غزة لصرف النظر عن المشاكل الداخلية التي يعيشها الكيان الصهيوني وعن الازمة الحقيقية الاجتماعية والاقتصادية التي يعيشها الكيان وفي التاريخ الاسرائيلي شواهد كثيرة على سياسة الصهيونية التي تستدعي الخطر الخارجي لصرف النظر عن الداخل ، ففي اواخر عام 1966 عندما كان يمر الكيان الصهيوني في حالة تباطؤ النمو الاقتصادي وتصاعد الاحتجاجات ليس بحجم ما هو حاصل اليوم تطلع الكثير من الساسة الاسرائيليين الى شن حرب على الدول العربية وهذا ما حصل عام 67، وربما يعيد التاريخ نفسه من ليفي اشكول حزب العمل الى نتنياهو الليكود ، هذه هي الصهيونية بتجلياتها المختلفة .

كبير علماء الآثار في إسرائيل:

لا دليل يثبت علاقة لليهود في مدينة القدس

شكك عالم الآثار الإسرائيلي إسرائيل فلنكشتاين من جامعة تل أبيب والذي يعرف بابي الآثار بوجود أي صلة لليهود بالقدس.

جاء حديث العالم الاسرائيلي في تقرير لصحيفة جيروساليم ريبورت الإسرائيلية ، الذي أكد لها أن علماء الآثار اليهود لم يعثروا على شواهد تاريخية أو أثرية تدعم بعض القصص الواردة في التوراة بما في ذلك قصص الخروج والتيه في سيناء وانتصار يوشع بن نون على كنعان.وقال فلنكشتاين لقد تطور الإسرائيليون القدماء من الحضارة الكنعانية في العصر البرونزي المتاخر في المنطقة، ولم يكن هناك أي غزو عسكري قاس وأكثر من ذلك حيث يشكك في قصة داوود الشخصية التوراتية الأكثر ارتباطاً بالقدس حسب معتقدات اليهود، ويقول أنه لا يوجد أساس أو شاهد اثبات تاريخي على وجود هذا الملك المحارب الذي اتخذ القدس عاصمة له والذي سياتي (الميا) من صلبه للإشراف على بناء الهيكل الثالث، مؤكدا أن شخصية داوود كزعيم يحظى بتكريم كبير لأنه وحد مملكتي يهودا وإسرائيل هو مجرد وهم وخيال لم يكن لها وجود حقيقي.

كما يؤكد فلنكشتاين أن وجود باني الهيكل وهو سليمان ابن داوود مشكوك فيه أيضا، حيث تقول التوراة أنه حكم امبراطورية تمتد من مصر حتى نهر الفرات رغم عدم وجود أي شاهد أثري على أن هذه المملكة المتحدة المترامية الأطراف قد وجدت بالفعل في يوم من الايام وإن كان لهذه الممالك وجود فعلي فقد كانت مجرد قبائل وكانت معاركها مجرد حروب قبلية صغيرة وبالتالي فإن قدس داوود لم تكن أكثر من قرية فقيرة بائسة.

أما فيما يتعلق بهيكل سليمان فلا يوجد أي شاهد أثري يدل على أنه كان موجودا بالفعل. من جانبه قال رافاييل جرينبرج –وهو محاضر بجامعة تل أبيب –إنه كان من المفترض ان تجد 'إسرائيل' شيئا حال واصلت الحفر لمدة ستة أسابيع غير أن الإسرائيليين في مدينة داود بحي سلوان بالقدس يقومون بالحفر دون توقف منذ عامين ولم يعثروا على شيء.

واتفق البروفيسور «يوني مزراحي» وهو عالم آثار مستقل عمل سابقا مع الوكالة الدولية للطاقة الذرية، مع رأى فنكلشتاين..وقال إن «إيلعاد» لم تعثر حتى على لافتة مكتوب عليها «مرحبا بكم في قصر داود» برغم أن الموقف كان محسوما لديهم في ذلك الشأن كما لو أنهم يعتمدون على نصوص مقدسة لإرشادهم في عملهم .وفي الإطار نفسه يرى خبراء إسرائيليون أن الهدف الرئيس من وراء أنشطة الحفريات هو دفع الفلسطينيين للخروج من المدينة المقدسة وتوسيع المستوطنات اليهودية فيها. وأكد رافاييل جرينبرج أن ما تقوم به إسرائيل من استخدام لعلم الآثار بشكل مخل يهدف إلى طرد الفلسطينيين الذين يعيشون في سلوان وتحويله إلى مكان يهودي.

Digitized by Birzeit University Library

شؤون دولية

الأمم المتحدة بين الامتثال للسياسة الأمريكية أو تجاوز وجودها!..

محرر الشؤون الدولية

إذا كانت التطورات التي عرفها النظام الدولي بعد الحرب الباردة، وإلى غاية اليوم، قد أثرت في أداء وفعالية الأمم المتحدة لممارسة أدوارها وتحقيق أهدافها، فهل يمكن إذاً، النهوض بالمنظمة الدولية وتفعيلها من خلال ما هو مطروح من مشاريع ومقترحات لإصلاحها؟!.. أم أن هذه المشاريع هي من الطموح، ما يجعلها تصطدم بواقع دولي معقد، يصعب معه إجراء تغيير فعال وجدي للمنظمة الدولية، بما يناسب التطورات العالمية الراهنة؟!..

لقد أدت الهيمنة المتفردة للولايات المتحدة على شؤون العالم إلى تجاهل وتهميش المنظمة الدولية، وإلى (فك وتركيب) عدد من مؤسسات هيئة الأمم المتحدة وفقاً للرؤية الأمريكية.. ولذلك فهي لم تتردد في تكريس أحاديتها على العالم من دون أن تكترث بالرأي العام العالمي الذي صدمته مواقفها إزاء قضايا مثل: الصراع العربي – الصهيوني، أو الاحتباس الحراري واتفاقية كيوتو، أو المحكمة الجنائية الدولية.. وفي هذا الصدد يعبر جون بولتون أحد صقور المحافظين الجدد: لا توجد أمم متحدة وإنما يوجد مجتمع دولي تقوده الولايات المتحدة».

ومنذ أحداث 11 أيلول 2001، وضعت الإدارة الأمريكية مجلس الأمن أمام أحد خيارين: إما إقرار الخطوط العامة لسياساتها، وإما تجاوز وجوده، وبذلك نصبت نفسها بكل المعاني فوق هذا المجلس.. وفي هدم منهجي للأسس التي قامت عليها الأمم المتحدة.. وقد أصبحت الولايات المتحدة بمقتضى ذلك أكثر عداء للأمم المتحدة، واستعداداً لاستخدام القوة في سياستها الخارجية، وأشد رغبة في العمل الأحادي الجانب، سواء وافقت منظمة الأمم المتحدة أم لم توافق. فمواجهة الأخطار التي (تهدد الأمن الأمريكي والمصالح الأمريكية) أهم من موافقة الأمم المتحدة، أي أن البنية الدولية الحالية قد عززت من استخدام الولايات المتحدة للقوة العسكرية، وقللت إمكانيات الاحتكام إلى قواعد وأسس القانون الدولي والشرعية الدولية.

فإذا كانت الأمم المتحدة في مهمتها الأساسية التي أنشئت على أساسها بهذا القدر من ازدواجية المعايير، ومن سوء التدخل الإنساني، وزيادة تدخل المجلس، فضلاً عن سوء إدارة الأزمات الدولية، قطعاً يخالف كل ما ورد في الميثاق، فإنه قد بات من الضرورة صياغة إستراتيجية مواجهة هادئة يجتمع حولها جميع المتضررين ليقيموا بأنفسهم ولأنفسهم صرحاً من الحماية، وبناء القوة القادرة على مواجهة كل ما هو انكفائي وذو طابع كولونيالي إمبراطوري، لم يعد يتناسب مع النضج الإنساني الذي وصلت إليه المجتمعات البشرية.. رغم ما يواجه بعضها من مشكلات تخلف ونمو وفساد.

وإزاء ذلك، ثمة حاجة إلى أن يثور العالم الخير أجمع في وجه هذا الطغيان الأمريكي، فالعمل الدولي يتطلب العدل والإنصاف، والقرية الكونية الصغيرة التي نعيش فيها لا يمكن أن تحتمل مثل هذا الجور والعسف، لذلك فإن العالم كله بمنظماته ومؤسساته وهيئاته ودوله المختلفة، مطالب بالعمل الجاد لحماية نفسه من بطش هذه الدكتاتورية الدولية المنفلتة.

شبحٌ جديدٌ يجول في سماء أوروبا، أو بعضها...

داود تلحمي

يستحضر العنوان، طبعاً، تلك الكلمات الأولى الشهيرة التي افتتح بها كارل ماركس وفريدريش إنغلز كراسهما الشهير «بيان الحزب الشيوعي»، والمعروف عادةً باسم «البيان الشيوعي»، الذي صدر قبل أكثر من قرن ونصف القرن في أوروبا، في العام 1848، الذي صدر في مطلعه هذا الكراس- النداء، وكانت نسخته الأولى باللغة الألمانية لكنها طُبعت في العاصمة البريطانية لندن، كانت القارة الأوروبية على أبواب انفجارات واسعة، ستمتد من الشهر الثاني للعام الى مطلع العام التالي لتشمل العشرات من بلدان القارة الأوروبية، وحتى بعض بلدان أميركا اللاتينية. وهي كانت انفجارات شعبية ضد الأنظمة الإستبدادية، الملكية والإمبراطورية، ومن أجل حق تقرير المصير للشعوب غير المستقلة منها، والواقعة آنذاك تحت هيمنة هذه الإمبراطوريات القارية الكبرى. ومعروف أن ماركس وإنغلز تحدثا في بداية كراسهما عن الشبح الذي يقصدانه، شبح «الشيوعية»، الذي، كما قالا، كان يقض مضاجع الحكام وأقطاب السياسة والنفوذ الرجعيين في القارة. وهما كانا يستخدمان بذلك على الأغلب لغة تعبوية للقطاعات المتسعة من العمال والعاملين بأجر في القارة، الى جانب اللغة التحليلية المكثّفة التي تناولا فيها تناقضات النظام الرأسمالي في تلك الحقبة، حقبة «الثورة الصناعية».

الشبح الجديد:
التمرد على الظلم الإقتصادي و«الديمقراطية الشكلية» السائدة

أما الشبح الجديد الذي نتحدث عنه الآن في القارة الأوروبية فهو شبح يأتي في زمن آخر غير زمن أواسط القرن التاسع عشر، وبعد تطورات هائلة شهدها العالم في مختلف المجالات خلال هذه الحقبة الزمنية الطويلة. ولكنه، بدوره، شبح يثير انزعاج ومخاوف أصحاب القرار والنفوذ الحاليين في أوروبا وحلفائهم في قارات أخرى. وإن كانت الأمور ما زالت في بداياتها، وتكاد تكون محصورة في عدد محدود من البلدان الأوروبية، على الأقل حتى الآن.

إنه شبح التمرد على البنى وآليات العمل التقليدية لـ«الديمقراطيات» الأوروبية، على الصعد الإقتصادية والإجتماعية والسياسية، والتي غالباً ما يتناوب على حكمها حزبان، أحدهما يميل الى اليمين والآخر الى يسار الوسط. علماً بأن العقود الثلاثة أو الأربعة الأخيرة، عقود ازدهار «الليبرالية الجديدة»، شهدت تضاؤلاً كبيراً للفروقات في السياسات العامة بين هذين التيارين، خاصة في الجانب الإقتصادي.

فسواء أكان النظام الحاكم من الصنف الأول، أي من اليمين أو يمين الوسط، كما هو الحال الآن في فرنسا وإيطاليا وألمانيا وبريطانيا، والبرتغال بعد الإنتخابات النيابية الأخيرة التي جرت في حزيران/يونيو الماضي، أو من الصنف الثاني، يسار الوسط، كما هو الحال في اليونان وإسبانيا، والبرتغال قبل الإنتخابات النيابية الأخيرة، فقد دفعت تفاعلات الأزمة الإقتصادية الرأسمالية العالمية كلا الصنفين من الحكومات، مع بعض الفروقات المحدودة، الى إجراءات تقشف وتقليص نفقات عامة مسّت بشكل رئيسي القطاعات الشعبية الأوسع، العمال والموظفين وأصحاب المشاريع والملكيات الصغيرة، والعاطلين عن العمل طبعاً، وأعدادهم في مجمل البلدان الأوروبية غير قليلة.

وإذا كانت الأزمة الإقتصادية التي انطلقت من الولايات المتحدة في العامين 2007– 2008 قد انعكست على مجمل البلدان الأوروبية، وغير الأوروبية، بما فيها بلداننا العربية، فإنها ضربت بشكل خاص تلك البلدان ذات الإقتصادات الهشة، والتي كانت تعتمد على القروض الخارجية وتراكم الديون، بحيث كادت تصل الى حافة الإفلاس، أي عدم القدرة على سداد أقساط الديون وفوائدها. وهو ما اقترب منه بلد مثل اليونان، العضو في الإتحاد الأوروبي وفي منطقة عملة اليورو، كما يقترب منه عدد من البلدان الأخرى، مثل البرتغال وإيرلندا. في حين تفاقم وضع بلد أكبر حجماً مثل إسبانيا، فاتخذت حكومته، المنتمية الى يسار الوسط، سلسلة من إجراءات التقشف وضغط النفقات الإجتماعية، فاقمت من البطالة، العالية جداً أصلاً في البلد، والأعلى في منطقة اليورو – أكثر من 21 بالمئة من اليد العاملة، والضعف تقريباً بالنسبة للقطاعات الشابة –، وهددت بمزيد من التراجعات في الوضع المعيشي للقطاعات الأضعف من المجتمع، العاطلين عن العمل والمتقاعدين والشبان الباحثين عن العمل في بدايات حياتهم المهنية وقطاعات إجتماعية أخرى. وشهدت بلدان أخرى إجراءات تقشف شبيهة، ربما أقل حدةً، من بينها بلدان كبيران مثل بريطانيا وإيطاليا.

فيما عمدت العديد من البلدان الأوروبية عامةً الى إجراءات تسرّع من تطبيق وصفات «الليبرالية الجديدة»، من نمط توسيع نطاق خصخصة القطاع العام، وتخفيض خدمات الصحة والتعليم وضمانات الشيخوخة، وتأخير سن التقاعد، وحتى المس بمخصصات التقاعد والبطالة وتعويضات المرض والعلاجات الطبية. وهو ما يعني التراجع عن العديد من المكاسب الإجتماعية التي كانت قد حققتها هذه القطاعات الشعبية منذ الثلاثينيات الماضية، ومنذ ما بعد الحرب العالمية الثانية بشكل أوسع. هذا، في وقت يدرك فيه كل مطّلع ومتابع أن الأزمة الإقتصادية الحالية تسببت بها ممارسات نابعة من نهج «الليبرالية الجديدة» وتنامي دور القطاع المالي– المصرفي والمضاربات المتجاوزة للحدود، وغالباً حتى للقوانين السائدة في كل بلد معني. أي ان الذين تسببوا بالأزمة لا يدفعون الثمن، بل يلقونه على القطاعات الأكثر تضرراً منها ومن مجمل سياسات «الليبرالية الجديدة»، وينتهزون الفرصة للتسريع في تطبيق «علاجات الصدمة» التي توصي بها هذه السياسات. وهو ما يجعل رد فعل «الغاضبين» و«الحانقين» أمراً مفهوماً.

***

Digitized by Birzeit University Library

لكن ما سنتحدث عنه هنا ليس هذه الجوانب الإقتصادية، التي سبق وتناولنا بعض مظاهرها في مقال سابق، وإنما ظواهر التمرد الجديدة، التي أخذت حجماً واسعاً في بلد مثل إسبانيا، حيث عمد الشبان، ومن ثم قطاعات أخرى من السكان، منذ أواسط شهر أيار/مايو الماضي، الى احتلال عدد من الساحات العامة في العاصمة مدريد وفي عشرات من المدن الأخرى من البلد، ونصب الخيام للإقامة فيها.

وهو ما أوحى بالتأثر بما جرى في مدن تونس ومصر منذ أواخر العام المنصرم وأوائل العام الحالي، وخاصة نموذج ميدان التحرير الشهير في القاهرة، الذي كانت أجهزة التلفزيون تنقل صور شبانه وجماهيره المحتشدة على نطاق واسع في أنحاء العالم، مما جعل هذا الميدان حالياً من بين أشهر الميادين في العالم. فعلى سبيل المثال،عَنْون موقع مجلة «در شبيغل» الألمانية على شبكة الإنترنت مقالته عن إنتفاضة إسبانيا، في 5/19 الماضي، كالتالي: «ميدان التحرير في مدريد: الجيل الضائع لإسبانيا يجد صوته». وكلمة «التحرير» منقولة كما هي، أي بلفظها العربي، وليس بترجمة معنى الكلمة.

«بوابة الشمس»... ميدان التحرير في أوروبا!

والميدان الذي بدأت منه الحركة في عاصمة إسبانيا في 5/15 الماضي يحمل اسم «بويرتا دل سول»، أي «بوابة الشمس». وهو أصبح عنواناً أيضاً لسلسلة من التحركات في مدن إسبانية أخرى، ومن ثمّ في بلدان أوروبية أخرى. مع العلم بأن اليونان، الذي يشهد أزمة طاحنة من المديونية، جعلته عملياً رهينة بأيدي صندوق النقد الدولي والمفوضية الأوروبية والبنك المركزي الأوروبي، وكلها هيئات غير منتخبة، وبالتالي غير خاضعة لرقابة المواطنين اليونانيين وغير اليونانيين، كان قد شهد منذ زهاء العامين سلسلة متواصلة من التحركات الشعبية، العمالية والشبابية خاصة، المعبرة عن الإستياء من تدهور الوضع المعيشي، وخاصة للقطاعات الشابة. ووضع اليونان الجديد، المكبّل بقيود مفروضة عليه من الهيئات الثلاث الخارجية المذكورة، جعل بعض المحللين يتحدثون عن رهن استقلال هذا البلد وتفريغ الممارسات الديمقراطية فيه بالتالي من مضمونها، بما في ذلك العمليات الإنتخابية. والنموذج اليوناني مطروحٌ للتمدد والتطبيق على بلدان أخرى غارقة في الديون، مثل البرتغال وإيرلندا، وربما بلدان أخرى.

فاضطرار اليونان وبلدان أخرى للإقتراض من المؤسسات التمويلية المشار اليها، ومن المصارف الكبرى التي تتعامل معها هذه المؤسسات، وفي حالة اليونان هي في معظمها مصارف ألمانية وفرنسية، يجعل هذه المؤسسات التمويلية هي التي تحدد وتوجه السياسات الإقتصادية والإجتماعية في هذه البلدان، وبالتالي مجمل سياساتها، حتى الخارجية، الى حد كبير. والبديل الذي يجري التلويح به لهذا الإرتهان هو الإفلاس والإنهيار، وربما حتى الإخراج من «نعيم» اليورو. وهذا الإحتمال الأخير ليس مطروحاً الآن، ولكن يجري التداول به، حتى في وسائل الإعلام في بلد مثل ألمانيا.

وربما كان لهذا التأثير الخارجي على سياسات بلد مثل اليونان، لطالما كان مواطنوه وبعض حكوماته في الماضي يتعاطفون مع قضايا شعوب المنطقة العربية، يتخذ مؤخراً قراراً بمنع القوارب الأوروبية المناصرة للشعب الفلسطيني من مغادرة موانئ اليونان لكسر الحصار الذي يفرضه الإحتلال الإسرائيلي على قطاع غزة. وبعضنا يذكر، بالمقابل، كيف تم استقبال القيادات الفلسطينية التي غادرت بيروت بعد حصار إسرائيل لها في صيف العام 1982 إستقبالاً حافلاً من قبل والد رئيس الحكومة الحالي ورئيس الوزراء الأسبق أندرياس باباندريو، وتوفير كل التسهيلات من قبل الحكومة اليونانية آنذاك للمناضلين الفلسطينيين الذين اضطروا الى الإنتقال الى بلدان أخرى. علماً بأن اليونان كانت آنذاك عضواً في الإتحاد الأوروبي، الذي لم يكن معروفاً بهذا الإسم بعد، حيث تم انضمامها في العام السابق 1981.

الشبح الجديد هو، إذاً، شبح التمرد على هذه «الديمقراطية» الشكلية، التي باتت مفرغة بشكل شبه تام من مضمونها. ولذلك أطلق المتمردون الإسبان على أنفسهم تعبير «لوس إنديغنادوس»، أي «الغاضبين» أو «الحانقين». وبعض شعاراتهم بات يدعو الى «ديمقراطية حقيقية اليوم»، ديمقراطية تشاركية يكونون جزءً منها، غير تلك التي يعيشون في ظلها، وعلى هامشها وهامش الحياة في بلدانهم، ويعتبرونها تعمل ضدهم ولصالح أصحاب الثروات والمؤسسات المالية الكبرى في البلد، وخارجه.

ولذلك باتت هناك في بعض هذه البلدان نسبٌ متزايدة من الذين لم يعودوا مقتنعين بجدوى العمليات الإنتخابية، وهم يعمدون بالتالي، بأعداد متزايدة، الى مقاطعتها.

ففي البرتغال، مثلاً، شهدت إنتخابات الجمعية التأسيسية في العام 1975، بعد عام على الإطاحة بالنظام الفاشي الإستبدادي، الذي سيطر على البلد منذ عشرينيات القرن الماضي، نسبة مشاركة عالية تجاوزت الـ 90 بالمئة ممن يحق لهم التصويت. وبلغت النسبة في العام التالي 1976 في انتخاب أول برلمان منبثق عن الدستور الجديد المقرّ شعبياً حوالي 84 بالمئة. وكذلك الأمر في العام 1980.

لكن نسب المشاركة لم تنفك بعد ذلك عن التراجع. فنزلت تحت الـ 70 بالمئة منذ مطلع التسعينيات، وتحت الـ 60 بالمئة منذ العام 2009، أي مع بدء الأزمة الإقتصادية العالمية. وفي الإنتخابات الأخيرة، التي جرت في شهر حزيران/يونيو الماضي، والتي خسر فيها يسار الوسط لصالح اليمين، بلغت نسبة المشاركة 85 بالمئة. والنسب في الإنتخابات الرئاسية وانتخابات البرلمان الأوروبي هي أقل من هذه النسب، أحياناً بقدر كبير. حيث بلغت نسبة المشاركين في الإنتخابات الرئاسية الأخيرة في الشهر الأول من العام الحالي 2011 أقل من 50 بالمئة. وكانت نسبة المشاركين من البرتغاليين في انتخابات البرلمان الأوروبي في العام 2009 أقل من 40 بالمئة.

فبين حماسة السنة الأولى بعد «ثورة القرنفل» الشهيرة في العام 1974 التي فتحت الآفاق مبدئياً أمام بناء مجتمع حر وعادل ومتطور، كما حررت البلد من عبء الحروب الإستعمارية التي كانت مستمرة في عدد من بلدان إفريقيا التي كانت ما زالت مستعمرة قبل هذه الثورة، كما من مجمل المستعمرات الأخرى... وبين فتور الناخبين في الأعوام الأخيرة، نلمس كيف تغيرت النظرة في هذا البلد، الجار لإسبانيا، تجاه هذه «الديمقراطية»، بالصورة التي انتهت إليها.

ويمكن تلمس مثل هذه الظاهرة في أكثر من بلد أوروبي. وكما سبق وذكرنا، فإن اليونان تشهد اضطرابات داخلية، اجتماعية واقتصادية، بشكل شبه متواصل، على الأقل منذ عامين. وهو يشهد منذ العام 2009 نمواً سلبياً (أي إنخفاضاً) في ناتجه المحلي الإجمالي، علماً بأن الشروط القاسية المفروضة عليه من المؤسسات التمويلية لإنقاذه من الإفلاس تفتح الباب أمام مرحلة طويلة من التراجع الإقتصادي، ومن الأزمات الإجتماعية، التي لا أفق لحلها على أيدي الأحزاب التقليدية المتناوبة على الحكم منذ ثلاثة عقود ونيف، برأي «الغاضبين». فالحركة الإشتراكية لعموم اليونان (باسوك) التي جاءت الى السلطة لتحل محل حزب «الديمقراطية الجديدة» اليميني بعد انتخابات العام 2009 لم تتمكن من تفادي الرضوخ لوصفات «الليبرالية الجديدة» التقشفية التي فرضتها المؤسسات التمويلية الدولية التي أشرنا إليها. لا بل هي التي تدفع بقوة اليوم لتنفيذها بدون تأخير.

ومهما كانت مآلات هذه الأزمات، غير المرشّحة للتجاوز في زمن قريب، فإن أوروبا، أو على الأقل بعض بلدانها، تشهد تفاعلات غير مألوفة خلال العقود الأخيرة، ويمكن أن نرى احتمال حدوث تطورات مهمة، من الصعب التنبؤ بها منذ الآن.

وحتى وإن كان «الحانقون» في إسبانيا قد غادروا الساحات الكبيرة، وتوزعوا على عدد من الأحياء والمناطق الأفقر والأكثر حيوية، فإن شيئاً ما جديداً سيخرج من كل هذا، خاصة مع استمرار نشاطاتهم الجماعية والتشاورية بشكل منتظم. وربما سيحتاج الأمر الى سنوات حتى تتبلور الصورة، ويتحقق تغيير حقيقي في هذه البلدان ومجمل بلدان القارة، خاصة وان صيغة «الإتحاد الأوروبي» وقيود منطقة اليورو، التي تتحكم بها الدول الأقوى إقتصادياً، وخاصة ألمانيا والى حد أقل فرنسا، كما وارتباط مجمل صيغة الإتحاد بالمراكز الكبرى الأخرى في عالم رأسمالية اليوم، وخاصة المركز الأميركي الشمالي، كلها عوامل تجعل عملية التغيير أصعب مما كانت عليه في مراحل تاريخية سابقة.

ولكن، منذ الآن، بدأ بعض أوروبيي الأطراف يشعرون بأن هناك قواسم مشتركة بينهم وبين مناطق أخرى في العالم، مناطق «الجنوب»، التي يشهد بعضها تحولات مهمة، ومنها أميركا اللاتينية، وبشكل أولي هذه المنطقة العربية التي لا زالت التحولات فيها في بداياتها.

وفي كل الأحوال، لا بد من متابعة مستمرة لما يجري، ويمكن أن يجري، في هذه القارة التي انطلق منها الفكر الثوري الإجتماعي الأكثر تأثيراً على العالم بمجمله في القرنين الماضيين، والتي، وإن استفادت قطاعاتها الشعبية لفترة من الزمن من فتات نهب مستعمرات «الجنوب»، ومن أشكال الإستغلال الجديدة التي تم ابتداعها في مراحل «الإستعمار الجديد» منذ أواسط القرن العشرين، إلا ان نهم شرائحها الثرية وطغمها المالية بات يهدد حتى تلك القطاعات الشعبية في بلدان «المركز» الرأسمالي نفسه.

في رسائل من عزله لقوى التضامن .سعدات :

معا في خندق واحد للنضال

أكد الأمين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين»الأسير القائد احمد سعدات ان التضامن الدولي والدعم المستمر من احرار العالم لشعبنا وقضيته العادلة يعزز من الصمود الفلسطيني في مواجهة التحديات وخطط وسياسات الاحتلال ويؤكد وحدة كل احرار العالم في طريق النضال للخلاص من عصور وواقع الظلمات والاحتلال والاستبداد وانظمة القمع والوصاية والعنصرية .

جاء ذلك ، في الرسائل التي وجهها سعدات من عزله لعدد من الشخصيات والمؤسسات والقوى والاحزاب العربية والعالمية التي تتضامن مع شعبنا ونضاله العادل والمشروع والتي بعثتت مؤخرا برقيات ورسائل دعم وتضامن مع سعدات الذي يعيش في عزله ويقضي حكما بالسجن لمدة 30 عاما .

وبينما شكر الامين العام ، كافة المؤسسات والشخصيات على الرسائل والبطاقات الجميلة التي وصلته ، اشار الى انه طالعها باهتمام وتقدير لما تضمنته من مواقف وعبارات التضامن التي تعكس مشاعرها الحارة .

وأضاف « أؤكد بتصميم لا يقل عن تصميمكم باننا سنكون معا في خندق واحد للنضال من أجل عالم انساني جديد قائم على الحرية والعدالة الاجتماعية والتكافؤ بين الشعوب وخال من اي تمييز على اي اساس ، عرقي او طبقي او جنسي ، عالم يعيد للانسان انسانيته وللمواطن حقوقه وكرامته .

وقال سعدات «ان رسائلكم تؤكد على ما كنت وما زلت اثق به دوما بان لقضيتنا اصدقاء كثيرين ،وان معسكر الحرية يتسع ويمتد طولا وعرضا واني على ثقة بانه بات محور لتحقيق الانجازات لكل الشعوب والطبقات المقهورة» .

ودعا سعدات لمزيد من العمل المشترك في كل جبهات العالم حتى احقاق الحق الفلسطيني وتجسيد اهداف وتطلعات شعنا التي لا تنازل عنها وتعزيز حملات المقاطعة والعزل لاسرائيل اخر اشكال وصور الاحتلال في العالم.

Digitized by Birzeit University Library

ثقافي

الخطاب الثقافي التنويري: ضرورة ملحة!

أعادت الثورات العربية الاعتبار إلى مفردات، ومقولات، وقيم كادت تندثر، وتدفن تحت ركام النكبات والهزائم المتتالية، بفعل النظام العربي الرسمي، الذي فشل فشلاً ذريعاً في التأسيس لأنظمة سياسية مؤسساتية، تحترم حق المواطنة، وتضمن الحقوق والحريات الأساسية للمواطنين. بمعنى آخر فشل النظام العربي في استكمال الاستقلال الناجز، وكرّس من جديد علاقة التبعية للغرب الاستعماري، وتحولت الأنظمة إلى دولٍ بوليسية تحكم شعوبها بالحديد والنار والقمع، والخطاب الديماغوجي الذي ألغى مفردات: الشعب، الحرية، العدالة، الكرامة، الاستقلال.. الخ. بما تعنيه هذه المفردات من جوهر حقيقي، على صعيد الفعل والممارسة، وليس باعتبارها شعارات فارغة من أي مضمون فعلي.

وإذا كانت هذه الأنظمة، منذ نشوئها، قد استخدمت قضية فلسطين العادلة مشجباً، تعلق عليه جميع مشكلاتها، وتبرر من خلال ذلك مختلف سياساتها التعسفية، ومماطلاتها، باعتبارها أولوية، وقضية مركزية، فإنها، بممارساتها الزائفة، وخصوصاً بعد انسداد أفق مشروع (السلام)، التي انضوت تحته برعاية (اليانكي) الأمريكي، راحت تتعرى وتنكشف في أكثر من محطة مفصلية، كالوقوف إلى جانب أمريكا في حرب الخليج الأولى سنة 1991، وتسهيل غزو العراق واحتلاله سنة 2003، وتحولت ممالك النفط الخليجية إلى قواعد عسكرية للإمبراطورية الأمريكية، ووصل النظام السياسي العربي إلى قمة انحطاطه السياسي والأخلاقي، تتحكم بثرواته نخب فاسدة، فاقدة لأي شرعية، فيما تردت الأوضاع المعيشية للسواد الأعظم من الناس.

من جهة أخرى احتل الإسلام السياسي الذي شجعته الولايات المتحدة وحليفتها السعودية أثناء الحرب الباردة في أفغانستان واجهة المعارضة الاحتجاجية، لا سيما بعد ضرب اليسار العلماني، وبدأ خطابه ينتشر أفقياً وعمودياً، ويترسخ ثقافياً، وبعد الحادي عشر من أيلول تكرست في الأذهان ثنائية مخيفة أمام الشعوب العربية، التي وجدت نفسها أمام خيارين صعبين: إما شبح القاعدة والدولة الإسلامية التكفيرية، وإما حكم الدولة البوليسية، وقد غذّت الأنظمة هذه الثنائية، وراحت ترّوع شعوبها بشبح الحرب الطائفية لكي تؤبد سلطاتها، لكن انتفاضات الشعوب العربية جاءت لتكنس كل هذه التشوهات، وتثبت للعالم أجمع، بما لا يدع مجالاً للشك، أن العالم العربي، شأنه شأن غيره يمكن أن يكون في قلب الحداثة والتاريخ، وأن الشعوب العربية، مثل كل شعوب العالم تحلم بقيم العدالة، والحرية، والديمقراطية، وأن التعدد المذهبي، والديني، والقومي، هو مصدر غنى وتنوع وقوة في ظل دولة مدنية، بينما تحول إلى مصدر تهديد للاستقرار والتعايش في ظل الديكتاتوريات التي غذت الخطاب الطائفي، وهنا على المثقفين والمفكرين العرب، القيام بواجبهم في إنتاج خطاب جديد، يولد من رحم الثورات العربية وأحلامها. خطاب لا يخطب باسم الشعب أو يزاود عليه، وإنما يجسد طموحاته، ويستوعب المتغيرات العميقة الجارية، ويسهم في تكوين ثقافة تنويرية ترقى إلى مستوى الثورة، وتليق بها.

«إننا محكومون بالأمل»

نبوءة سعد الله ونوس بربيع الثورات العربية!

علي الكردي

نستعيد في ذكرى رحيل المبدع غسان كنفاني، ذكرى مبدع عربي آخر، تقاطع مع غسان في هواجسه السياسية والثقافية والإنسانية.. وفي حلمه العريض برؤية الإنسان العربي حراً، كريماً، ومتحرراً من كابوس الاحتلال، والاستبداد والعسف في كل أشكاله.

نستعيد اليوم صورة الكاتب المسرحي سعد الله ونّوس.. بعد أربعة عشر عاماً على رحيله.. وكأننا نسمع صدى صوته الهادئ.. العميق يتردّد في صالة غارقة في الظلال، يتلو كلمته الشهيرة في يوم المسرح العالمي: «نحن محكومون بالأمل، وما يحدث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ».

ولعل في استعادتنا صوت سعد الله، وصورة غسان في ربيع الثورات العربية اليوم، له دلالة، وطعم، ورائحة تختلف عن كل السنوات الماضية التي أثقلت أرواحنا بوطأة الهزائم، والانكسارات، واستبداد الأنظمة، وعنصرية الاحتلال الإسرائيلي، وتمادي طغيانه وعتوّه، والسبب أننا لأول مرة منذ نصف قرن تقريباً، نرى هذه الصحوة العظيمة لجماهير الشارع العربي من أقصاه إلى أقصاه وهي «تقرع جدران الخزّان»، وتثبت فعلاً، لا قولاً: «أننا محكومون بالأمل.. وما يحدث اليوم لا يمكن أن يكون نهاية التاريخ». نعم.. الشعوب العربية تصنع اليوم بجناجرها الهادرة، وصدورها العارية، تاريخاً جديداً، وصفحات مشرقة تفتح الأفق أمام غد آخر لشعوبنا العربية، التي طالما تحمّلت بصبر، وذاقت كل ألوان القهر والعذابات، بانتظار ساعة الحسم والتغيير الجوهري في حاضرها ومستقبلها، وبالتالي ما كان يؤمن به، ويُراهن عليه غسان كنفاني، أو سعد الله ونوس، أو غيرهما من المثقفين العرب التنويريين، حول قدرة الشعوب العربية، وإرادتها في صنع التاريخ، لم يكن مجرّد وهم، أو أحلام رومانسية لنخبة مثقفة، وإنما رؤية استشرافية عميقة لسيرورة التاريخ، وتحوّلاته، التي سوف تفضي تراكماتها حتماً إلى قدرة الشعوب في لحظة ما على أخذ زمام المبادرة، لتقرّر مصيرها بنفسها، وهذا ما نشهد اليوم إرهاصاته المبشّرة في الشارع العربي التي تطالب بالحرية والكرامة والتعددية واحترام الإنسان، وتحرّر الأوطان.

في يوم ما من عام 1941، نشرت أشعة الشمسّ الذهبية خيوطها فوق البيوت المتواضعة في قرية حصين البحر الهادئة، القابعة على هضبة خفيضة تطلّ على الشاطئ السوري من بعيد. في هذا اليوم، وعلى وجه التحديد، في التاسع عشر من شهر شباط 1941 وُلد سعد الله ونوس في أحد هذه البيوت، التي تعبق برائحة الزيزفون، وتظللها أشجار الزيتون والليمون، في فترة كانت فيها سورية تعيش ظروف الاضطراب السياسي، فالحرب العالمية الثانية ما تزال مستعرة، وسورية التي ضحّت كثيراً من أجل استقلالها، ما تزال محتلة من قبل فرنسا، والمفارقة أن فرنسا نفسها غدت آنذاك محتلّة من قبل ألمانيا، التي أعلنت بدورها أن سورية ولبنان أصبحتا منطقة حربية خاضعة لحكومة فيشي، الخاضعة بدورها لألمانيا النازية.

لم تكن صحة سعد الله في الطفولة، كما تقول شقيقته الكبرى، دائماً على ما يرام، لذا نشأ محبّاً للعزلة والقراءة، وفي شهادة

نادرة لمعلّمه في المدرسة الابتدائية الأستاذ متري عرنوق، الذي كان جاراً لعائلة ونوس يقول: «لاحظت أن سعد الله كان أكثر وعياً من رفاقه، حتى أولئك الذين يكبرونه سناً».

تبرز علامات الجدّية في سلوكه، وطبيعة اهتماماته المبكرة بالقراءة، على ما تقول شقيقته، من خلال تكوينه لمكتبته الخاصة، وهو في الحادية عشرة من عمره، وكان كتاب جبران خليل جبران «دمعة وابتسامة» أول كتاب يقتنيه سعد الله.

ثمة دفتر مذكرات لسعد الله الفتى، سجّل فيه يومياته، يدلّل على نضجه المبكر، وطبيعة اهتماماته بالمجلات الجادّة، كمجلة «الآداب» التي كتب في يومياته تقييماً حولها، وهو في الثانية عشرة من عمره، الأمر الذي يبرز ميله المبكّر إلى تكريس حياته للمطالعة والكتابة وطموحه في هذا المجال.

حصل سعد الله في العام 1959 (أيام الوحدة بين مصر وسورية) على شهادة الدراسة الثانوية بتفوّق، الأمر الذي أتاح

Digitized by Birzeit University Library

له الحصول على منحة دراسية إلى كلية الآداب، جامعة القاهرة لدراسة الصحافة، وبينما كان يتابع دراسته في القاهرة، واجه أول صدمة سياسية كبرى في حياته مع وقوع الانفصال بين سورية ومصر.

تخرّج سعد الله من كلية الصحافة في جامعة القاهرة عام 1963، وعاد إلى دمشق، وعُيّن موظفاً في وزارة الثقافة، فعكف على كتابة مسرحيات قصيرة، وصدرت له أول مجموعة بعنوان «حكايات جوقة التماثيل» عام 1965، وفي العام الذي يليه أُوفد إلى باريس لمتابعة دراساته العليا، لكنه سرعان ما عاد إلى سورية إثر زلزال هزيمة 5 حزيران 1967، التي خلخلت أعماقه، فكتب مسرحيته الانتقادية الشهيرة «حفلة سمر من أجل 5 حزيران» التي جعلت منه علماً نائع الصيت، وفي طليعة المسرحيين العرب.

اخترق سعد الله في مسرحية «حفلة سمر» النمطية السائدة، وشخّص أسباب الهزيمة بجرأة فكرية وفنية، وكانت تجربته الأولى التي جسّد فيها المفهوم البريختي في المسرح بهدمه الجدار الرابع الذي طالما وقف حائلاً بين خشبة المسرح العربي ونبض الحياة، حيث أدخل شخصياته إلى الصالة بين الجمهور، ومن قلب الجمهور صعدوا إلى الخشبة، ليقول: نحن الذين انهزمنا، فلماذا انهزمنا.. ولماذا وصلنا إلى هذا المآل؟ وفي الآن ذاته أعلن في بيانه المسرحي: رفض الهزيمة والموت، والانحياز إلى الحياة والكتابة والإبداع.

في تلك الأجواء تعرّف سعد الله على الفنانة المسرحية فايزة الشاويش، فنشأت بينهما قصة حب تكلّلت بالزواج في العام 1970، أثمرت ولادة ابنتهما الوحيدة «ديمة»، ولإيمانه بأن الأطفال هم المستقبل، وافق على تأسيس مجلة «أسامة» للأطفال ورأسَ تحريرها، وفي الأثناء عكفَ على كتابة المسرح بشغف، فكتب مسرحية «رأس المملوك جابر» التي مُنعت من العرض ليلة الافتتاح، ثم «سهرة مع أبي خليل القباني» عام 1972.

تجاوزت شهرة سعد الله في تلك الفترة حدود العالم العربي، وسافر إلى ألمانيا للإشراف على تدريبات مسرح «فايمر» الألماني على مسرحيته «مغامرة رأس المملوك جابر» التي أخرجها المسرحي الألماني فوبير، وتحوّلت تلك المسرحية إلى فيلم سينمائي من إنتاج مؤسسة السينما في سورية. وفي مطلع العام 1975، رأس سعد الله القسم الثقافي في جريدة «السفير» اللبنانية، في ذروة أتون الحرب الأهلية، وبدأ مرحلة جديدة بتعرّفه على المخرج المبدع فواز الساجر، العائد من موسكو، وكان من ثمرة هذا اللقاء الإعلان عن ولادة «المسرح التجريبي.. والبحث عن صيغة مسرح عربي جديد»، وأول تجربة مشتركة بينهما كانت إعداد سعد الله «يوميات مجنون» لغوغول التي أخرجها الساجر، وفيها تعرية جريئة للعوالم الداخلية للموظف الصغير، المنشغل عن كل ما يجري حوله بتناقضاته الخاصة.

استمرت التجربة المشتركة بين المبدعين، بكتابة سعد الله لمسرحية «رحلة حنظلة من الغفلة إلى اليقظة» التي أخرجها الساجر للمسرح التجريبي، وهي إعادة تأليف لمسرحية «موكنبوت» لبيتر فايس التي أحدثت صدمة لدى الجمهور حين عرضها، ونشر سعد الله مسرحية «الملك هو الملك» وفي تلك الفترة أسّس مع الناقد د. نبيل الحفار مجلة «الحياة المسرحية» التي أغنت الثقافة المسرحية العربية.

رانتعشت آمال سعد الله المحبطة، بعد حرب تشرين عام 1973، على الرغم من بعض الشكوك التي ساورته، لكنه عاد إلى إحباطه وعزلته التي كادت تقضي عليه إثر زيارة السادات إلى إسرائيل يوم 19 تشرين الثاني عام 1977، وتتحدّث زوجته فايزة الشاويش عن محاولة سعد الله الانتحار، بسبب توتره الشديد من الأحداث في تلك المرحلة، لا جُبناً، كما يقول الكاتب حسن. م. يوسف، وإنما لإحساسه العميق بعجز الكلمات عن مواجهة العار والانهيار.

عكف سعد الله في سنوات عزلته على إعداد مشروعه النظري الإبداعي الذي أثمر كتابه «بيانات لمسرح عربي جديد» عام 1988، ومع عودة فواز الساجر الثانية من موسكو بعد حصوله على درجة الدكتوراه في المسرح، انتعش سعد الله من جديد، و«بدأ يفكر بمشاريع مشتركة بينهما»، كما يقول الفنان غسان مسعود دون أن يخطر بباله أن صديقه فواز جاء ليودّع محبّيه من خلال العرض المسرحي الأخير له «سكان الكهف» لوليم سارويان.. هذا العرض المفعم بالمشاعر الإنسانية الدافئة، إذ برحيل فواز المبكر بأزمة قلبية مفاجئة في السادس عشر من أيار عام 1988 خيّم الحزن على سعد الله والثقافة السورية والعربية عموماً.

خرج سعد الله من أحزانه بكتابة مسرحية «الاغتصاب» التي أخرجها جواد الأسدي لصالح المسرح الوطني الفلسطيني، وحدثت ردود فعل صاخبة على هذا العرض المسرحي، وعبّر سعد الله آنذاك عن مرارة خيبته بسبب استبعاد الأسدي للخط الفلسطيني برمته من المسرحية، الأمر الذي نسف من وجهة نظر سعد الله مقولة المسرحية.

تزايد سطوع نجم سعد الله على الصعيد العربي مع تكريمه في مهرجان القاهرة التجريبي عام 1989، ومهرجان قرطاج بتونس، ومنحه جائزة سلطان العويس عام 1990، حيث تخوّف بعض المثقفين من التأثير السلبي لجائزة العويس على سعد الله، لكنه أثبت من خلال نشاطه المحموم مع عبد الرحمن منيف، وفيصل درّاج عكس ذلك، من خلال إصدار المجلة الفصلية البحثية «قضايا وشهادات»، التي موّلتها الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، وكانت تطمح إلى إحياء فكر النهضة وإعادة طرح أسئلته المؤجلة، وهواجسه حول علاقة السلطة بالمثقف التي أثمرت فيما بعد ولادة مسرحيته «منمنمات تاريخية».

اكتشف سعد الله عام 1992، بعد حرب الخليج الثانية إصابته بسرطان في البلعوم الأنفي، فسافر إلى باريس للمعالجة، واستمر صراعه مع المرض خمس سنوات متتالية، لكنه قاوم المرض بالكتابة وغزارة الإنتاج، بل كتب أجرأ وأعمق نصوصه المسرحية: «منمنمات تاريخية، طقوس الإشارات والتحولات، أحلام شقية، يوم من زماننا، الأيام المخمورة...» وكانت كلمته في يوم المسرح العالمي «إننا محكومون بالأمل» آخر لقاء له مع جمهوره، حيث ودّع عالمنا في أيار 1997، في رحلة عودته الأخيرة إلى بلدته الوادعة «حصين البحر»، التي احتضنت بحنوّ جسده البارد.

في ندوة نّظمها منتدى التنوير ومجلة الهدف في نابلس احتفاء بالشهيد غسان كنفاني:

الإعلان عن جائزة غسان كنفاني للمبدعين الشباب

خاص/ الهدف

تقرير ابو زيد حموضة

نظّم المنتدى التنويري الثقافي الفلسطيني «تنوير» بالتعاون مع مجلة الهدف وبرعاية بلدية نابلس ندوة ثقافية احتفاء بالذكرى 39 لاستشهاد اديب الثورة غسان كنفاني بعنوان (غسان: أديبا مبدعا ومناضلا صادقا) وذلك في حديقة مكتبة بلدية نابلس (المنشية) حضرها جمع غفير من الفعاليات السياسية والادبية والاكاديمية والدينية والثقافية والمراة.

تحدث في الندوة تباعا، م. زياد عميرة، رئيس مجلس ادارة المنتدى التنويري. وعمر شحادة مدير مركز دراسات الهدف. والرفيق عبد الرحيم ملوح نائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين. والكاتب د. عادل الاسطة أستاذ الادب المقارن في جامعة النجاح الوطنية. ومن الجدير ذكره أن الندوة هي مبادرة من مجلة الهدف الغراء لتذكير الجيل الفلسطيني بقامة من أهم قاماتالنضال الوطني الفلسطيني، وكذلك لتكريم الكاتب والاديب د. عادل الاسطة وذلك تقديرا لمساهمته الدؤوبة في نشر واثراء تراث كنفاني.

أدار الندوة د. يوسف عبد الحق منسق العمل الثقافي في التنوير، والذي اقتبس مقولة من رسائل كنفاني لغادة السمان «لنضع نصل الصدق الجارح فوق رقابهم» وأضاف: كنفاني حسون أذن للثورة .. وفي نور اللهب الساطع من صدق حرفه.. نتشرف باحياء ذكراه .. ونكبر بحضورنا الكريم الوفي لأدبه وتخليد مبادئه .

افتتحت الندوة بكلمة القاها رئيس مجلس ادارة المنتدى التنويري م. زياد عميرة، الذي رحب بالحضور الكريم واعتبر المنتدى مفردة من فردات الثقافة التنويرية الوطنية في نابلس والوطن بمناسبة ايقاده الشعلة السابعة من عمره حيث انطلق في تموز 2005.

وقال عميره: نحن في المنتدى لا نعادي علما من العلوم، ولا نهجر كتابا من الكتب، ولا نتعصب لمذهب من المذاهب. نتعصب، فقط، للحقيقة التي لا لبس فيها، آخذين بوصية الاديب الذي نحتفي بذكرى استشهاده، غسان كنفاني، أن الحقيقة .. كل الحقيقة للجماهير.

من جهته تحدث الرفيق عمر شحادة، مدير مركز دراسات الهدف عن شيم كنفاني قائلا:

نحتفي بغسان .. نحتفي بأهمية الانسان الحر ونتطلع لتأصيل أعظم مصادر القوة المعنوية والمادية للشعب الفلسطيني ..... نحتفي بحماية الروح الفلسطينية التي لم تنل منها سهام الغدر وجبال الظلم وسنين التآمر ومحاولات الهدم والطمس والتذويب... نحتفي بمعرفة العدو التي بدونها يصعب الصمود والانتصار.. نحتفي بالمقاومة الشاملة بمفهومها الشامل ... مقاومة الجهل واليأس والهزيمة .. مقاومة الجبن والخذىن والرذيلة .. مقاومة الكذب على الذات ... مقاومة الفشل والفشاد والطغيان .. مقاومة الخذلان .. مقاومة الموت الطبيعي...نحتفي بغسان.... فاننا نحتفي بكل ماهو أصيل وشريف ونبيل ومشرف.. نحتفي بالثقافة الوطنية ..بعزيمة الثورة والنصر»

وأعلن شحادة باسم مجلة الهدف عن جائزة كنفاني للابداع قائلا: اعلن اطلاق جائزة غسان كنفاني السنوية للمبدعين الشباب في حقول الادب والفنون اعتبارا من عام 2012 .»

الرفيق عبد الرحيم ملوح نائب الامين العام للجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، فقد قسم مداخلته الى محورين؛ الاول في الادب الكنفاني، والثاني تناول فيه الوضع السياسي الراهن.

فقد أتى ملوح على كنفاني الروائي والاديب: الذي قال في رائعته (رجال تحت الشمس) قال: لماذا لا تدقوا جدار الخزان؟ وفي رواية (أم سعد) قال : خيمة عن خيمة تفرق! بيد انه في رواية (عائد الى حيفا) قال : الانسان قضية... لقد قال غسان هذه المقولات في وقت مبكر، قالها وهو يخاطب نفسه، ويعاتب الفلسطيني الذي يهرب بوعي للكويت بحثا عن الحل الفردي، مفضلا الموت في الخزان، والدفن في مزابل الدول العربية، بدلا من مقاومة المحتل والموت بكرامة وشرف، فصرخ غسان صرخته متسائلا: لماذا لا يدقوا جدار الخزان؟

ولم يغفل ملوح الحديث عن غسان السياسي: مشيرا الى أنه انتمى لحركة القوميين العرب ومع زملائه اسامة الهندي، وبلال الحسن، اسسوا ملتقى الشباب القومي عندما كانوا يدرسون في سوريا، ثم انتقل أخيرا الى صفوف الجبهة الشعبية وكان عضوا في مكتبها السياسي وقد كتب مسودة التقرير الوطني الثالث للجبهة.

وأردف ملوح نذكر غسان كنفاني مثلما نذكر كوكبة من المبدعين الفلسطينيين، كنوح ابراهيم، راجح السلفيتي، ابراهيم وفدوى طوقان، وأبي

Digitized by Birzeit University Library

سلمى، وعبد الرحيم محمود ومعين بسيسو، وهم شعراء. ونذكر رشاد ابو شاور ويحيي يخلف وجبرا ابراهيم جبرا، ومحمود درويش، وعز الدين المناصرة ومأجد أبو شرار وغيرهم..

في الشق السياسي تحدث ملوح عن تداعيات الوضع العربي والثورات العربية موضحا أن الوضع العربي العام يجند من أجل فلسطين لأن الشعوب العربية بدات تستيقظ وتعي لنفسها دفاعا عن حريتها وكرامتها وشرفها وأوطنها .. وصرح بأن : لا نريد رؤساء تجلس على الكراسي، بل نريد رؤساء تعمل من أجل شعوبها. وكفلسطينيين، نحن اول ناس نرحب بالثورات التي نادت بالعدالة الاجتماعية وكرامة الناس وحريتها ... مضيفا أن شعبنا الفلسطيني أول من قام بالثورات الشعبية عام 63 في فلسطين احتجاجا على السياسة البرطانية والهجرة اليهودية ومصادرة الارض ثم تلاها انتفاضة 1987 ضد الاحتلال والاستيطان وانتفاضة الاقصى من أجل القدس.. الخ .. مستطردا: استطيع القول أن فلسطين هي قضية القضايا، وهي قضية امة، وليتوحد الجميع من أجل هذه القضية. وأرى أنه في هذا الخصوص هناك اسئلة كبرى جاوب عليها كنفاني عندما قال: خيمة عن خيمة تفرق، ودقوا جدار الخزان، والانسان قضية ، واعادة الشرف.

وعن التحديات التي تواجه الشعب الفلسطيني، أوجزها ملوح : نحن الان أمام تحديات، الاحتلال أولها، وعلينا كفلسطينيين التوحد لمواجهته في جبهة واحدة سواء كنا في الشتات او الضفة أو غزة أو فلسطيني الداخل، علينا التوحد والمصالحة لوقف العدوان.

وحول نقل ملف القضية للامم المتحدة قال : سنذهب للامم المتحدة كتحرك سياسي، والاهم في ذلك هو اقتناع فريق اوسلو أنه طريق غير سوي. وواقعيا أن الذهاب للامم المتحدة تشي وتقر بأن مرحلة المفاوضات الثنائية برعاية أمريكية فشلت ولا قيمة لها، وعلينا أن نذهب للامم المتحدة لندافع عن حقوقنا، فالتحرك ايجابي وجيد، وعلينا ان نعمل من أجل انجاحه.

الدكتور عادل الاسطة توقف أمام كتاب غسان كنفاني « فارس فارس» الذي صدر في العام 1988، وضم مقالات كان كنفاني كتبها ما بين العامين 1966 و 1972 ونشرها في الصحافة اللبنانية في حينه.

قارن المحاضر بين اسلوب المقالة لدى كنفاني والمقالات التي تنشر في بعض صحفنا اليومية، ولاحظ أن السخرية الجارحة التي تغلب على كتابات كنفاني تكاد تبدو مفقودة لدى كتابنا. ويقترب كنفاني من هذا الجانب من إميل حبيبي الكاتب الساخر البارع في هذا الاسلوب. وقد اشار المتحدث الى أنه لا يدري إن كان أحد هذين الكاتبين تأثر بالآخر.

وقبل ختام اللقاء تم تكريم د. عادل الاسطة بدرع متواضع، وكذلك بلدية نابلس لرعايتها الحفل. حيث استلم الدرع بالنيابة عن رئيس بلدية نابلس المهندس عدلي يعيش الاستاذ بشار التمام رئيس مكتبة بلدية نابلس.

من جدارية درويش

سأصير يوماً ما أريد

لاشيء يوجعني علي باب القيامةِ .
لا الزمان ولا العواطف . لا
أحسّ بخفّة الأشياء أو ثقل
الهواجس . لم أجد أحدا لأسأل :
أين ((أينَي)) الآن ؟ أين مدينة
الموتى ، وأين أنا ؟ فلا عدم
هنا في اللا هنا " في اللازمان ،
ولا وجود

وكأنني قد متُّ قبل الآن
أعرف هذه الرؤيا ، وأعرف أنني
أمضي إلى ما لستُ أعرف . ربّما
ما زلت حياً في مكانٍ ما، وأعرف
ما أريد "
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوما فكرة . لا سيْف يحملها
إلى الأرض اليباب ، ولا كتاب "
كأنّها مطَر علي جَبلٍ تصدّع من
تفتّح عشْبة ،
لا القوّة انتصرتْ
ولا العدْل الشريد
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوما طائرا ، وأسلّ من عدمي
وجودي . كلّما احترق الجناحان
اقتربت من الحقيقة ، وانبعثت من
الرماد . أنا حوار الحالمين ، عزفْت
عن جسدي وعن نفسي لأكْمل
رحلتي الأولي إلي المعني ، فأحْرقني
وغاب . أنا الغياب . أنا السماويّ
الطريد .
سأصير يوما ما أريد

سأصير يوما كرمة ،
فليُعْتصرني الصيف منذ الآن ،
وليشربْ نبيذي العابرون علي
ثريّات المكان السكَريّ !
أنا الرسالة والرسول
أنا العناوين الصغيرة والبريد
سأصير يوما ما أريد

مروان عبد العال «إيفان الفلسطيني»

بعيداً عن القضيّة وكليشيهاتها الجاهزة، تؤرشف «إيفان الفلسطيني» (دار الفارابي) يوميات الإنسان الفلسطيني في المخيم والشتات والمنفى. صاحب «سفر أيوب» يعيد طرح سؤال الهوية المحاصرة والمهددة بالاندثار

إيلي عبدو

ينفك السياسي عن الأدبي في كتابة مروان عبد العال (1957)، تتحرر اللغة من عبء الشعارات والخطابات والبيانات، لتدخل حيزها الجمالي وتمارس هوايات المخيلة في الفتك بكل ما هو يقيني ومستقر، في أدب القضية الفلسطينية وكليشيهاته الجاهزة. لا يغيّر الناشط والسياسي الفلسطيني من مهنته حين يكتب. بل يذهب إلى أكثر الأمكنة متعةً في هذه المهنة: نبش الذاكرة ومقاومة النسيان، وأرشفة يوميات الإنسان الفلسطيني في المخيم والشتات والمنفى، والتقاط تفاصيل منسية ونفض الغبار عن قصص وحيوات وأحلام بسيطة، كاد الزمن يتغلّب عليها ويطويها. في روايته الجديدة «ايفان الفلسطيني» (دار الفارابي)، يعيد عبد العال طرح سؤال الهوية عند الفلسطيني، حيث التأرجح بين الوطن الحلم، الحاضن لذكريات الأم والعائلة، وتفاصيل الطفولة والمراهقة وبين مخاضات المنفى والظروف التي ينتجها سلب هذا الحلم ومحو آثاره.

للتعبير عن هاجس روايته وسؤالها المصيري، يبتكر الكاتب شخصية جدلية تتمثل في «عرب»، الفلسطيني المولود في أحد مخيمات الشتات. يسافر عرب إلى بيروت للعمل في التصوير ثم يمضي إلى بروكسل، حيث يفشل في الحصول على لجوء، ما يضطره إلى محو بصماته عبر الكي بالنار ليستطيع دخول الأراضي الألمانية والعيش هناك. يتحول عرب لاحقاً إلى إيفان الألماني بعد أن يغيّر اسمه كي يسهل عليه الاندماج في المجتمع الجديد. يعيش في مدينة دورتموند، ويؤسس مقهى «أرابيسك»، حيث يلتقي أبناء الجاليات العربية الهاربين من جحيم أوطانهم. لكنّ السلطات لا تلبث أن تقفل المقهى بحجة مخالفة القوانين. يستمر إيفان في العمل في القسم العربي لإحدى الفضائيات الألمانية.

تتشظى الذات الواحدة إذاً، بين إيفان وعرب، بين الوطن ونقيضه، ليتصاعد الجدل في سياق حوارات ومونولوغات وجودية تبحث في مفاهيم الوطن والمنفى، والذات والآخر، من دون أن تفقد الحكاية بريقها وقدرتها على الإمساك بالقارئ.

يتكئ صاحب «سفر أيوب» على الذاكرة كمرجع لنبش الحكايات والوقائع والأحداث المتناسلة التي يسردها على إيقاع الجرح الفلسطيني: تحضر النكبة، ومشروع التقسيم عام 1948، ومحاولات الأهالي شراء السلاح لمواجهة عصابات الهاغانا وشتيرن والأرجون. الذاكرة هنا ليست مدوناً تاريخياً بقدر ما هي وجدان حي، حفظ أبناء المخيمات قصصه وحوادثه وتناقلوها عبر أجيالهم.

ثمة شخصيات عديدة تمر في السرد، يستدخل الكاتب عبرها مناخات مختلفة إلى سياق نصه. صخر صديق عرب من أيام الطفولة وحلمه بأن يصبح فدائياً، وجولي زوجة إيفان وعجزه عن التأقلم معها ومع أولاده الذين نشأوا في بيئة غربية، وبن هواش اليساري التونسي الذي اقتلعت السلطات التونسية أظافره لأنه معارض، وحسيب الذي يساعد العرب في التسلل إلى ألمانيا.

يؤكد صاحب «زهرة الطين» أن معظم هذه الشخصيات التي ظهرت في الرواية، التقاها في الواقع قبل أن ينقلها إلى الورق: «هناك الكثير من الفلسطينيين الذين أعرفهم، يضطرون إلى تغيير أسمائهم، ليس فقط لتسهيل حياتهم في المنفى، إنما للأسف لتسهيل المرور عبر إجراءات حدود البلاد العربية» يقول مروان عبد العال. حتى الرمزيات التي وضعها في نصه للدلالة على أزمة هوية الفلسطيني وتخبطه بين عالمين، استمدها من الواقع أيضاً: «فكرة النمل الأسود والنمل الأشقر التي أردت من خلالها أن أرمز إلى الشرق والغرب، وتصادمهما داخل الشخصية الفلسطينية، أخذتها كتفصيل من حياة الطالب الفلسطيني الذي يتلقّى تعليمه في مدارس «الأونروا». إذ تمثلتْ ساحات هذه المدارس بالرمل بدل الاسمنت، وينتشر النمل بلونيه الأسود والأشقر في أرجاء المكان».

الرواية التي سترشّحها «دار الفارابي» لجائزة «بوكر» العربية هذا العام، تتمدد أحداثها وتفاصيلها على نحو أفقي، وتأخذ شكل بنية فسيفسائية تتداخل في متنها الذكريات والوقائع والتأملات والأسئلة. وتنتهي بحدث أراده الكاتب مفتوحاً على التساؤل، حيث يُقدم أحدهما على قتل الآخر، عرب يقتل إيفان... أو إيفان يقتل عرب، ليبرز السؤال: من هو الضحية، إيفان أم عرب؟ ومن قتل من؟

«لا بد من أن يموت الجزء البشع فينا» يقول مروان، قبل أن يضيف: «نستطيع أن ندافع عن ذواتنا ونحن نقتل هذه الذوات. سأظل أبحث عن الوجوه الجميلة في الشعب الفلسطيني وأكتب عنها. الفلسطيني ليس القيصر الروسي إيفان الرهيب (1590 ـ 1584م) الذي ارتكب إبادات ومجازر جماعية. الفلسطيني ضحية هذا الإيفان».

ندوة حول رواية مروان عبد العال، يشاركه فيها الباحثان عبد المجيد زراقط ومحمد شومان، والصحافي أنيس محسن. كما يوقّع الكاتب روايته في «مسرح دوّار الشمس».

قصّة «هاربة»

عن تجربته، يقول مروان عبد العال لـ«الأخبار»: «عند كل فلسطيني قصة فيها الكثير من التحولات والآلام التي تفوق قدرتنا على التصديق. أنا لا أتقصّد الزج بالقضية الفلسطينية في كتابتي، لكن هذا واقعي. التقط المفارقات من سير هؤلاء الناس البسطاء». هذا تماماً ما حدث مع القيادي في «الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين» الذي كان يفاوض لإيقاف القتال في أحداث نهر البارد عام 2007 (قبل أن يدمّر بيته ومكتبته عمداً) حين وجد الوقت أيضاً لالتقاط قصة امرأة، كانت تبحث عن سرير نومها في ركام الحرب الدائرة. حوّلها في ذلك الحين إلى رواية «حاسة هاربة» (2008): «أدهشتني الحادثة يومها، عجوز تبحث عن سرير تحت القصف وفي ظل الحصار. ثم اكتشف في ما بعد أنها كانت تخبئ في فرشة السرير أوراق الطابو (أوراق الملكية) التي تخص منزلها في فلسطين».

Digitized by Birzeit University Library

في توقيع روايته الخامسة مروان عبد العال:

حين يظل الفلسطيني حكاية الانسان الخارج عن القانون، يكون «إيفان» الرواية الخارجة عن النص

في ندوة أدبية وقراءة نقدية حول رواية مروان عبد العال بعنوان :(إيفان الفلسطيني) الصادرة عن دار الفارابي .اقيمت مساء الاربعاء 20-7 في بيروت مسرح دوار الشمس وسط لفيف المهتمين والمتابعين والشخصيات الثقافية والسياسية والاصدقاء .

قدم الندوة الاستاذ الصحافي انيس محسن معرفا عن السادة النقاد والاساتذة وتحدث عن المؤلف ورواياته. إيفانُ الفلسطيني» تشبهُ كلّ الفلسطينيين، بل كل المقهورين الباحثين عن مكانة بعد فقدان المكان.

إنها خامسُ رواياتِ الأديبِ والكاتبِ والفنانِ التشكيلي الفلسطينيِ والسياسيِ القياديِ في الجبهة الشعبية لتحرير فلسطين، مروان عبد العال، لكنها تختلف عن أقرانها، وعن كثير من الروايات الفلسطينية، بل العربية، من حيث تناولها شخصية إشكالية مغرقة في السلبية، ومعالجتها كحالة إنسانية واقعية لها افراحها واتراحها ومشاعرها.

«إيفان» هي القضيةُ التي دخلتْ تفاصيلَ حياتنا وذاكرتنا، من لعبةِ النملِ الأسودِ والنملِ الأحمرِ التي يعيدُنا الكاتبُ معها الى لعبةِ صبيانيةٍ فيجعلُ جحافلَهم تتقاتلُ كأخيارٍ هم نحن وأشرارٍ هم «اليهود».. الى لحظةِ انتحارِ إيفان.

أما ما بينهُما فهم أشخاصٌ نعرفُهم، هم نحن.. أقاربنا، هم المُصْطَفّونَ امامَ مراكزِ التموين التابعةِ للاونروا من اجلِ بعضِ الحصصِ التموينية، هم المدرسةُ في المَخيمِ والخيمةُ قبلَها، والمنزلُ المتداعي، والحياةُ اليوميةُ الصعبةُ، ودخولُ الفدائيين الى حياتنا المحطمة والشعورُ بالانعتاقِ ونسماتِ الحريةِ والعودةِ الى الارضِ المقتلعةِ والحياةِ المسلوبة... لكنها انكسارُنا ايضا وايضا، بل ان انكسارَنا هو الخيطُ الذي تسيرُ عليه «ايفان الفلسطيني»، تتخلصُ من البطلِ النمطي الذي يقاتلُ وينتصرُ او يُستشهدُ، وهي ميتةٌ فيها من العزِ والفخرِ كي نتمناها، وتتعاملُ مع البطلِ التراجيدي الواقعي الذي يمتلكُ مشاعرَ انسانيةٍ وانكساراتٍ انسانيةٍ وانانيةٍ هي جزءٌ من تلكَ المشاعر

الاستاذ الناقد الدكتور عبد المجيد زراقط تكلم عن القضية الفلسطينية واعطى أمثال عن الشاعر الفلسطيني محمود درويش ، وتكلم بصورة كامنة عن عبد الكريم الانصاري وكيف يحول القضية الفلسطينية الى قضية انسانية ، ومن ثم بدا الحديث عن حياة ايفان وعن سلسلة حياة وعن اسمه الذي بدأ يعرف في اوروبا ، وصديقه الذي عذب في السجون ووصفهم ببطل بلا انتصار.... الخ

ثم تكلم الاستاذ محمد زينو شومان إنه الصحفي والمدرس والشاعر ، تحدث عن بطل مروان عبد العال في هذه الرواية مشبها» ايفان» عبد العال بغريب البيركامو وعن مأساة الشعب الفلسطيني بكل انواعها المتناقضة وربطها بكثير من القصص والروايات وبأنها ليست فقط تتحدث عن حالة فردية بل عن حالة جمعية ، واشار الى نها رواية الغربة الفلسطينية . البعد عن هذا الوطن.... الخ

ثم تحدث الكاتب مروان عبد العال بالمناسبة مستهلا الشكر لأصحاب الدعوة «دار الفارابي ومنظمة الشبيبة الفلسطينية»، وجزيل الامتنان لهذا الصرح الثقافي مسرح دوار الشمس و للأساتذة الأفاضل د. عبد المجيد زراقط والشاعر محمد زينو شومان والصديق أنيس كل الشكر والتقدير، متمنياً أن تكون عند حسن الظن وعلى قد الكلام الذي قيل على ضفتيّ النقد، ولكم جميعاً أصدقاء وحضور الاعتذار لعناء الحضور في صيف لا ينفع فيه الإنشاد إلا ما ندر.

لم يدفعني الخيال الخصب والوطني بامتياز كي أجترح الشخصية الأحجية «إيفان» ولا هي خربشات أحضرتها من فوق حائط متهرئ في ذاكرة مخيم.

الشخصية فيها شيء مني وإن كان نقيض لي، كلما صارعتها، كانت تنمو معي وليس داخلي فقط.. محفورة في أعماقي بقوة وأشعلت تناقضا خفيا في نفسي. لا مجال البتة لأن أنكر علاقتي بالبطل. حين أدركت كم أنا متهم فيه وبريء منه. أعز صديق، ولصيق ونقيض، ولم يولد كي يكون إيفان نعم، لكنه انتهى إلى إيفان، ليكون لغز الرواية. كنت أسير في خط التحرر منه وأنا أوغل في ذاته وأحاول معه في تفكيك عقدة نفسه، حتى انتصر هو على نفسه. وبطريقته. بقي إيفان على أمل أنه القارئ، لا بد سيغفر له.

لأنه إيفان الفلسطيني، البطل الخارج عن النص... دوماً.

إنسان خارج عن الجغرافيا، وفلسطيني خارج عن القانون، وإيفان خارج عن النص. ليس هو بطل ثوري أو تحريضي، ولا هو مناضل انتصاري، ولم يقتفِ موضة الفدائي المقاتل لأنه ليس البطل الإيجابي، ولم يكن كذلك، ولا يريد أن يكون المدافع الشرس عن حقوق شعبه، هو البطل السلبي اللا منتمي بكامل قناعته.

فكان النص تجسيداً لصراع مرير بين طرفيّ البقاء من جهة، والمنفى من جهة أخرى. فيكشف خديعة المرايا التي امتهنت تزوير وجوهنا، كشظايا من صور مبعثرة في دهاليز زمن مكسور. أعلن فرحي بأني تحررت منه، وأعترف أنه احتلني ردحاً من الزمن، وإنها شخصية تغلغلت داخلي إلى مستوى يصعب الإقلاع عنه. كان الهوس بالصورة إلى درجة الدخول في الصورة. ذاك الشريك الذي وصل إلى مرتبة أعزّ الأصدقاء، الولد الذي كان وتراً من ذاكرتي، صدى صوته الذي يتلعثم في تلاوة.. اسمه وتهجئة درس القراءة.

حين تنظر في مرآة نفسك، أفضل طريقة لرؤية ذاتك الداخلية، ولنقد الذات هو أن تخرج منها لتقف قبالتها، وترى عيوبها، وتحدد مواطنَ الخلل والضعف فيها، وبأقصى ما تستطيع من أمانة وموضوعية، لتكون رقيب ذاتي لها، ولا تهتم بشأن الآخرين ومراقبتهم ونسيان ذاتك التي من الأولى عليك الاهتمام بها أكثر من اهتمامك بغيرك.

نص لاختلاس الصورة التي تسللنا فيها معاً. فأذاعت أسرار شهوة عائدة من تفاصيل اللجوء المحاصر بأسفار رمادية، تكتبها بصمات حادة تحفر في وجداننا شتى أنواع الصخب. النص للأسماء الشاغرة، المنسية والضائعة، الوجوه التي حشوتها في وسادة أحلامنا.

مهلا ايها السادة ، فسيعذرني إيفان البطل العاق الخارج عن النص لأني خلقته وكتبته وقتلته.

ناجي العلي

مسيرة نضال وكفاح لم تنته رغم رحيله

خالد الفقيه

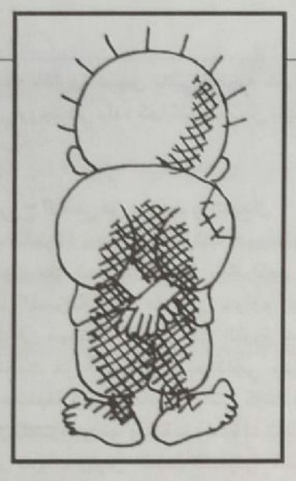

ولد الفنان ناجي سليم حسين العلي في قرية الشجرة بالجليل الأعلى قرب الناصرة في فلسطين عام 1936، ويرتبط اسم القرية بالسيد المسيح الذي تقول بعض الدراسات التاريخية أنه استظل تحت إحدى أشجارها، وهو ما قد يفسر اهتمام الفنان فيما بعد بإظهار آلام السيد المسيح كدلالة على معاناة الشعب الفلسطيني.

عاش ناجي العلي في كنف أسرته ذات الأصول الفلاحية في القرية المختلطة دينياً، إذ كان يسكنها المسيحيون إلى جانب المسلمين إضافة إلى بعض اليهود الذين وصلوا إليها في عشرينات القرن الماضي. انفصل اليهود تدريجياً عن باقي السكان وأقاموا مستوطنة لهم على الجانب الآخر من القرية. شهدت الشجرة قبل النكبة عدة مناوشات بين السكان العرب والمستوطنين اليهود الذين هاجموا القرية عدة مرات، ولكن بمساندة أهالي القرى المجاورة استطاع الفلسطينيون صدهم أكثر من مرة. خلال هذه المواجهات، سقط عدد من أبناء القرية شهداء وجرحى. «يتذكر ناجي تلك الأحداث، ولاسيما حين قام يهود تلك المستوطنة باقتحامهم الأول للقرية. استشهد حينذاك خيرة شبابها، وفي اليوم التالي استعيدت القرية بعد أن آزرتها القرى الفلسطينية المجاورة، «وظل الوضع على حاله حتى دخول «جيش الإنقاذ» وسقوط الجليل بأكمله في يد اليهود».

ناجي في المخيم

اتجه ناجي وأسرته بعد حرب عام 1948 إلى جنوب لبنان كما باقي أهل الشجرة والقرى المجاورة، وبقوا في البساتين طيلة صيف ذلك العام على أمل العودة إلى ديارهم. وبعد أن دهم الشتاء جماهير اللاجئين وطال انتظارهم العودة تحت أشجار بنت جبيل اللبنانية التي تعود لأحد أصدقاء والده، قررت العائلة وباقي المهجرين من الفلسطينيين الرحيل مرة أخرى لتحط بهم المسيرة فيما بات يعرف بمخيم عين الحلوة القريب من صيدا.

حياة المخيم لجيل ينحدر من الأصول الفلاحية القروية كانت صعبة، وكان على ناجي وباقي اللاجئين الفلسطينيين التأقلم مع واقعهم الجديد الذي أستُبدلت فيه منازلهم بخيم وزعتها وكالة الغوث وتشغيل اللاجئين الفلسطينيين التابعة للأمم المتحدة التي أنشئت بقرار دولي بعد حرب عام 1948 وما نتج عنها من تشريد لمئات الآلاف من الفلسطينيين. وفي ظل هذا الواقع المستجد تبلورت بدايات الوعي الأولى لدى ناجي. «وكانت حياة ناجي العلي في المخيم عبارة عن عيش يومي في الذل. فأحدث ذلك صحوة فكرية مبكرة لديه، عرف أنه وشعبه، كانا ضحية مؤامرة دنيئة دبرتها بريطانيا وفرنسا، بالتحالف والتنسيق مع الحركة الصهيونية العالمية».

أبعد ناجي المتأثر بالشعارات القومية والمنتمي إليها أربعة مرات عن صفوف تنظيم القوميين العرب بسبب عدم انضباطه الحزبي خلال عام واحد، إذ يقول: «لم أكن في حالة رضا عن النفس رغم وجودي في صفوف الحركة. كانوا يتحدثون كثيراً، الأفكار تكدست في رأسي، تعلمت، فهمت الكثير معهم وأيقنت من ذلك التاريخ أن اليوم آت والثورة ستكون». رغم علاقته غير الثابتة مع القوميين العرب، إلا أنه أصدر وبالتعاون مع رفاقه فيها نشرة سياسية أسماها الصرخة كانت تكتب باليد واستمرت حتى عام 1961.

أنشئت منظمة التحرير الفلسطينية عام 1964، وبعد أشهر انطلقت الثورة الفلسطينية المعاصرة وعلى رأسها حركة التحرير الوطني الفلسطيني (فتح). أدرك ناجي هنا أن ولادة المنظمة ليس إلا صك براءة لذمة الأنظمة العربية كي تتخلى عن مسؤولياتها تجاه ضياع فلسطين.

كانت رسومات ناجي العلي قبل عام 1969 وخطوطه تأخذ عدة أشكال ذات دلالات رمزية واضحة ترتبط بما يريده هو شخصياً، لكن في هذا العام أوجد رمزه الخاص الذي لازمه حتى وفاته والمعروف باسم حنظلة، والذي قدمه لجمهوره بشرح واف على صفحات جريدة السياسة بتاريخ 13/08/1969. في

Digitized by Birzeit University Library

تقديمه للقارئ، لخص ناجي همومه كمواطن عربي ووجد في ولده كما كان يحب أن يسميه إلهامه.

الخروج الأخير من بيروت والاغتيال

أدرك ناجي أن دوره بات يشبه دور المؤذن المطلوب منه تحريض الناس وإشراكهم في تحمل المسؤلية تجاه ما يدور حولهم. أدرك كذلك أن مهمته بالتبشير في الثورة يمكن أن تحدث في أي مكان، وجد ناجي ضالته في صحيفة القبس الكويتية التي كانت ذات ميول ناصرية وقتها ومنتقدة بشدة لسياسات ياسر عرفات رئيس اللجنة التنفيذية لمنظمة التحرير الفلسطينية، وتفتح صفحاتها لكل منتقدي سلوكيات منظمة التحرير لاسيما بعد زيارة عرفات لمصر التي قاطعها العرب على خلفية زيارة رئيسها آنذاك أنور السادات للكيان الإسرائيلي وإلقائه خطاباً من على منبر برلمانها. على هذه الأرضية لم يجد ناجي العلي صعوبة في العمل مع القبس فانضم إلى أسرتها عام 1983.

قبل اغتياله عام 1987، خاض معارك ضارية مع رموز منظمة التحرير الفلسطينية وعلى رأسها ياسر عرفات ومحمود درويش. كان الأخير قد أدلى بحديث لصحيفة يديعوت أحرنوت العبرية غزل فيه إلى أهمية فتح حوار مع اليسار الإسرائيلي، وهو ما دفع ناجي لمهاجمته ووصفة بالخيبة كما روى ناجي ذلك في حديث صحفي لمجلة الأزمنة بعدها.

أغتيل ناجي العلي في لندن أثناء توجهه إلى جريدة القبس الدولية وذلك في شارع ايفز SEVE بعد أن أوقف سيارته على جانب الشارع. وتفيد العديد من الكتابات والتحقيقات أن شاباً أسمر البشرة اقترب منه بعد ترجله من سيارته وأطلق الرصاص على رأسه قبل أن يلوذ بالفرار من المكان وذلك صبيحة يوم الأربعاء الموافق 1987/07/22. أدخل ناجي العناية المكثفة في أحد المشافي البريطانية وبقي فيه إلى أن وافته المنية يوم 1987/08/29.

ثلاثية الغياب في شهر آب

أبو علي مصطفى وناجي العلي ومحمود درويش

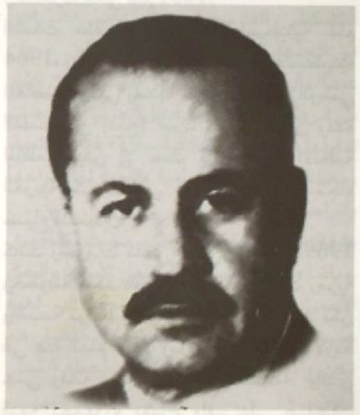

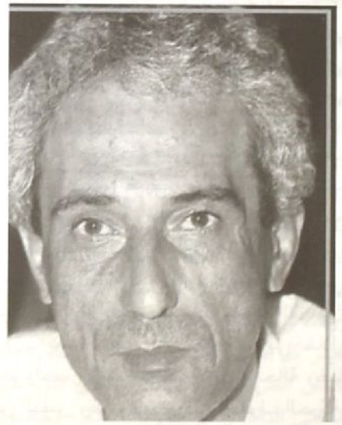

وفي ذات الشهر آب، رحلت قامة من أرفع القامات في السجل الفلسطيني، إنه شاعر فلسطين والعروبة.. شاعر الضمير الفلسطيني والحيوية الفلسطينية، الكبير محمود درويش.

وعلى الرغم من كل ما يقال عن محمود وعن مواقفه السياسية فإنه بلا منازع فارس الشعر العربي في هذا العصر، بحيث طاول القامات العربية الأخرى وزاد عليها..

وهكذا يسجّل شهر آب/ أغسطس في ذاكرتنا الفلسطينية غياباً كبيراً لثلاثة من أهم من أنجبهم الشعب الفلسطيني،

كان أبو علي مصطفى وناجي العلي ومحمود درويش، وقبلهم بقليل كان غسان كنفاني... وحده محمود درويش مات على فراشه، لا كما يموت الناس العاديون، بل تصارع مع المرض لزمن طويل.. مرض أحدثه الهمّ الفلسطيني والاصطراع على الحياة التي وصلت به إلى «حضرة الغياب».

في القيادة العسكرية والأمنية والفكرية كان أبو علي مصطفى فارس ساحته لا يطاول حضوره أحد، وفي ساحة الفنّ الكاريكاتيري، كان ناجي وحيد دهره ونسيج وحده، لا ينكسر قلمه خوفاً ولا يتردد في إفشاء أسرار وجدانه عبر رسوماته اللاسعة، ولم يهادن ولم يجامل أحداً حتى اتفق الجميع على أن وجوده مقلق للكثيرين، بدءا بإسرائيل وليس انتهاء بالقيادات الفلسطينية المختلفة الاتجاهات والتوجهات، أما محمود درويش فإنه عَلَم فلسطين وكاتب نص استقلالها، وصانع الأسطورة الفلسطينية في الشعر الذي يختطف المستمع ويسافر به إلى عوالم النهوض المعنوي والروحي... يختلف الثلاثة ولكنهم يتفقون على أن فلسطين هي فلسطين، كذا كان اسمها، وكذا يبقى على مدار الزمان..

وأخيراً

وسط دموع الفرح

بالأمس القريب احتفينا بذكرى رحيل غسان، وأعلنّا عن فتح باب المشاركة في جائزته للمبدعين الشباب.

اليوم نضع أكاليل الورد على أضرحة من كتبوا بدمهم لفلسطين، فهزموا الموت.

وعلى أضرحة من غسلوا عار الاغتصاب بالمقاومة حين رفعوا رايات الثورة والانتفاضة على أسنّة رماحهم في ساحات الوغى..

على ضريح الاب الروحي «حنظلة» الذي رسم ساخراً هموم فلسطين «بحامض الكبريتيك» ناجي العلي..

وعلى ضريح شاعر المقاومة والحرية والانسان محمود درويش ..

وعلى ضريح فارس الانتفاضة، ابن شعب فلسطين البارّ أبو علي مصطفى..

وفي الغد ... سنفعل الأمر نفسه...عهداً ووعداً ... لكل الشهداء الذين قضوا على الدرب «وقوفا كالاشجار»...عطا الزير، محمد جمجوم، فؤاد حجازي، ...عبد القادر وفيصل الحسيني... شادية أبو غزالة ودلال المغربي.. وديع حداد وأبو ماهر اليماني وجيفار غزة.. خليل الوزير، عمر القاسم، أبو عمار والحكيم... والشقاقي والرنتيسي والشيخ أحمد ياسين ...

فيا حجارة الانتفاضة التي أورقت على امتداد فلسطين وأرض العرب...

يا دماء الشهداء التي ازهرت انتفاضة هنا.. وثورة هناك.. واثمرت نصرا ووعودا بالحرية... والعدالة ...والوحدة...

لن ننتظر أقفاص العدالة بعد اليوم ...فلقد بدأت بالظهور وسط دموع الفرح على أرض الكنانة..

سلى عبد الرحيم

Digitized by Birzeit University Library